في ظلال رمضـان

تأليف

الدكتور/ سليمان الصادق البيرة

مكة المكرمة

i j k

ßàó øæ |=Ïäƒ(qžB#ä ûïï‰ÚÚg•'»ƒ ¼

`Ï š ú ïï‰ÚÚ’?ã |=Ïä $J. ß$<Å 9$$

» ÇÑÌÈ bqàG? Ùäª-è9 Ùàó ÎÒ‰

[سورة البقرة]

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ المحجَّلين، ومن اتبع سبيله إلى يوم الدين ... وبعد:

فإن صيام رمضان فريضة الله على عباده المؤمنين فرضها عليهم تزكية لهم حتى يسلكوا مدارج العبودية له سبحانه، ويكونوا من عباده المتقين. والصيام علاج وشفاء، يعالج فينا الأمراض الظاهرة والخفية، وعلاجه للأمراض الخفية أوسع. والحق الذي لا مرية فيه أننا في أمس الحاجة إلى علاج أمراضنا الخفية، فهي كثيرة ومتنوعة، وخطيرة في ذات الوقت.

وحين يستقبل المسلمون شهر رمضان المبارك فإنما يستقبلون هدية ربهم لهم ورحمته، وعنايته بهم، فليس الصيام في ميزان المؤمنين إلا إكراماً من الله تعالى، فهو تزكية، وتطهير، ورحمة، ورفعة.

وميدان الحديث عن فريضة الصيام الشريفة ميدان واسع لا يسعه رحب الأرض الواسع بياناً لفضائله ومكانته، وتعديداً لآثاره المباركة الظاهرة والباطنة في شتى مجالات الحياة للمؤمنين.

ونحن المسلمين لا نمل من الحديث عن هذا الركن العظيم أحد أركان ديننا الإسلامي العظيم وبيان ما فيه من الخيرات والبركات والرحمات.

فالميدان واسع بسعة خيرات هذا الركن الكريم، وقد كتب المسلمون قديماً وحديثاً عن رمضان في مجالات متعددة، فجزى الله الجميع خيراً. وهذا الكتاب يصب في دائرة التعظيم لفريضة الصيام المباركة. وهو بحث متواضع يعتريه النقص أكثر من غيره. وللقارئ غنمه، وعلى كاتبه غرمه.

والله تعالى هو المرجَّى لكل خير، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

د/ سليمان الصادق البيرة

مكة المكرمة

في ٨/٦/١٤٢٨هـ

المبحث الأول: فرحة المسلمين برمضان

إن المسلمين في كل مكان يتطلعون إلى هلال شهر رمضان، ويفرحون بمقدمه، وذلك أن شهر رمضان يحمل ذكريات، ومعاني، ومناسبات لها ارتباط وثيق بحياة كل مسلم. وقد كان الرسول ﷺ يتطلع إلى هلال شهر رمضان، ويفرح بمقدمه، ويبين لأصحابه أهمية هذا الشهر، روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)**[(١)].

وقد فرض الله تعالى صيام شهر رمضان على كل مسلم مكلف عاقل مقيم، قال تعالى: ﴿ =Ïä$J. Ä$‹Å_9$Ñà6 øæ =Ïä{qZB#ä ûïÏ%©$$gƒ'»ƒ ﴾ ﴿ ;N°Šrß‰èB $Ï$ƒ& ÇÌÈ bqà)G? Ïna=è9 Ïnà6 îÏ% `Ï šú ïÏ%©$'?ã ﴾[(٢)] قال العلامة الشوكاني رحمه الله في تفسيره: «ولا خلاف بين المسلمين أجمعين أن صوم رمضان فريضة افترضها الله سبحانه على هذه الأمة»[(٣)]. وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وآمراً لهم بالصيام، وهو: الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل لما فيه زكاةُ النفس وطهارتُها، وتنقيتُها من الأخلاط الرديئة، والأخلاق الرذيلة، وذكر أنه كما أوجبه عليهم فقد أوجبه على من كان قبلهم، فلهم فيه أسوة،

---

(١) صحيح البخاري (١٨٩٩) ومسلم (١٠٧٩) واللفظ له.
(٢) سورة البقرة (١٨٣-١٨٤).
(٣) تفسير الشوكاني (١٦٥).

وليجتهـد هـؤلاء في أداء هـذا الفـرض أكمـل ممـا فعلـه أولئـك كـما قـال تعـــالى: ﴿ ... ﴾ [١] [٢].

والصيام أحد أركان الإسلام الخمس، قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)** [٣].

يحترم المسلمون شهر الصيام، ويراعي بعضهم مشاعر بعض، ويعطف غنيهم على فقيرهم، ويرحم قويهم ضعيفهم، فرمضان بالنسبة إلى المسلمين موسم للعبادة، والذكر، والإنفاق، وتلاوة القرآن، وصلة الرحم، والتسابق في فعل القربات، والخيرات يلتقي المسلمون على صعيد رمضان متسامحين، متواضعين، متراحمين، يستشعرون جماله، وبهاءه، تغمرهم الفرحة بالصيام، وتنفتح في نفوسهم آفاق الأمل الواسعة في رحمة الله، وعفوه، ومغفرته، فشهر رمضان شهر الرحمة، والغفران، والرضوان والعتق من النيران. فمن وفق إلى صيامه، وقيامه غفرت ذنوبه، قال ﷺ في الحديث الصحيح: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنوبه)** [٤].

---

(١) سورة المائدة (٤٨).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٠٠-٥٠١).
(٣) صحيح البخاري (١٦) وصحيح مسلم (٨) واللفظ له.
(٤) صحيح البخاري (٣٨، ١٩٠١).

المبحث الثاني
من سمات اليسر والرحمة في تشريع الصيام

إن المتأمل في تشريع الصوم، وفرضه يدرك تلك السمات الواسعة من اليسر والسماحة التي اتسم بها فرض الصوم في أمة محمد ﷺ، وذلك دليل بيِّنٌ على سماحة الإسلام، ويسر الأحكام فيه، ومن هذه السمات أن الصيام يأتي مرة واحدة في السنة مدة شهر قمري فقط، وأن مجيئه يأتي وفق حركة القمر الذي يتنقل في منازله على مدار السنة، فينشأ عن ذلك اختلاف أوقات مجيء شهر الصوم في فصول متنوعة من شتاء، وخريف، وصيف، وربيع فلم يكلف المسلمون بالصوم في حر لافح، وفي قيظ شديد، ولا في برد قارص، وشتاء كالح دائماً في كل سنة، فلا يتمتعون بناء على ذلك بتغير الفصول، ولكن المسلمين -وهم يتمتعون بتغير الفصول- يدركون مدى اليسر والسماحة في تشريع الأحكام في دينهم الإسلامي العظيم.

والمسلم يمكنه أن يتصور مدى التيسير والسماحة، والرحمة بالمكلفين بالصيام في الإسلام إذا علم أن الصوم في أكثر الديانات القديمة مضبوط بالشهور الشمسية، وكان ذلك يحتاج إلى العلوم الرياضية والفلكية، وإلى وضع التقاويم، ونتج عن ذلك مجيء الصوم في وقت ثابت في فصول ثابتة لا تتغير، قال الرازي رحمه الله في تفسيره: «إن الله تعالى فرض صيام رمضان على اليهود والنصارى، أما اليهود فإنها تركت هذا الشهر، وصامت يوماً في

السنة زعموا أنه يوم غرق فيه فرعون، وكذبوا في ذلك أيضاً لأن ذلـك اليـوم يوم عاشوراء على لسان رسول الله ﷺ، أما النصارى فإنهم صاموا رمضـان، فصادفوا فيه الحر الشديد فحولوه إلى وقت لا يتغير، ثم قالوا عنـد التحويـل نزيد فيه فزادوا فيه، ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعاً فزادوه، ثـم جـاء بعد ذلك ملك آخر فقال: ما بال هذه الثلاثة فأتمه خمسين يومـاً وهـذا معنـى قولـه تعـالى: ﴿X/ö& tûïÏ»6elâr tûd ‘$6ôm& ÿ¼çmyä¢Á$$﴾ [(١)] وهـذا مـروي عـن الحسن» [(٢)].

ومن ملامح اليسر والسماحة في صيام أمة محمـد ﷺ أن الصـائم يتمتـع في ليله بكل ما كان ممنوعاً عليه في نهاره، وفي المقابـل فـإن الصـائم في بعـض الديانات الأخرى يجوع أربعـين يومـاً لا يتنـاول فيهـا غـذاء، عـلى أن هنـاك ديانات توسعتْ توسعاً زائداً فاقتصرت على تحريم تناول اللحـوم، وأباحـت تنـاول الفواكـه والمشرـوبات، والإسـلام العظـيم -وهـو ديـن الوسـطية والاعتدال- جاء تشريع الصوم فيـه وسـطاً بـين الإفـراط والتفـريط، وبـين الإرهاق والإطلاق، فكان الصوم فيه وسـطاً لـيس فيـه تعـذيب أبـدان، ولا إزهاق أرواح، وليس فيه كذلك إرخاء عنان ولا تضييق على الإنسان.

وقد كان العرب في جاهليتهم لا يأكلون، ولا يتمتعون بالمباحات إذا

---

(١) سورة التوبة (٣١).

(٢) تفسير الرازي (٣/٧٥).

ناموا، وإذا استيقظوا واصلوا صيامهم حتى الليل، وقد ألغى الإسلام ذلك كله، يقول الله تعالى: ﴿ ... ﴾ [1] فكان فرض الصوم يمثل وسطية الإسلام، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

---

(١) سورة البقرة (١٨٧).

المبحث الثالث: رمضان شهر القرآن

جاء تشريع الصوم في الإسلام مستوفياً لجميع ما ينشده الإنسان من الكمالات، موافقاً للفطرة، ملبياً لتطلعاتها، مراعياً لتطلعات الإنسان الروحية، والخلقية، والنفسية، والاجتماعية، والشخصية، والوجدانية، والعقلية، والبدنية، وذلك كله وسواه من ملامح الكمال والتمام في دين الإسلام، وقد جعل الله تعالى الصوم في شهر رمضان، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، قال العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله: «وجعل الله الصوم في رمضان فجعل أحدهما مقروناً بالآخر، مرتبطاً به فذلك قِران السعدين والتقاء السعادتين في حكمة التشريع، وذلك لأن رمضان قد أنزل فيه القرآن، فكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسانية الغاسق، فحَسُنَ أن يقرن هذا الشهر بالصوم، كما يقترن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يوم، وكان أحق شهور الله بما خصه الله من يمن وسعادة وبركة ورحمة، وبما بينه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية بأن يصام نهاره، ويقام ليله وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يكثر من تلاوة القرآن في رمضان»[(١)].

وقد جاء في الحديث المتفق عليه والذي يقول فيه ابن عباس: **(كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه**

---

(١) الأركان الأربعة (١٩٦-١٩٧).

جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة)[(١)].

يقول العلامة أحمد السرهندي: «إن لهذا الشهر مناسبة تامة بالقرآن، وبهذه المناسبة كان نزوله فيه، وكان هذا الشهر جامعاً لجميع الخيرات والبركات، وكل خير وبركة تصل إلى الناس في طول العام قطرة من هذا البحر، وأن جمعية هذا الشهر سبب لجمعية العام كله، وتشتت البال فيه سبب للتشتت في بقية الأيام، وفي طول العام، فطوبى لمن مضى عليه الشهر المبارك، ورضي الله عنه، وويل لمن سخط عليه، فمنع من البركات وحرم من الخيرات»[(٢)]، ويقول رحمه الله: «إذا وفق الإنسان للخيرات والأعمال الصالحة في هذا الشهر حالفه التوفيق في طول السنة، وإذا مضى هذا الشهر في توزع بال وتشتت حال، مضى العام كله في تشتت وتشويش»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري (١٩٠٢) وصحيح مسلم (٢٣٠٨) واللفظ له.

(٢) الأركان الأربعة (١٩٧).

(٣) نفس المصدر (١٩٧).

المبحث الرابع: الصيام موسم كبير للتهذيب والسمو

إن شهر الصيام موسـم عـالمي كبـير واسـع، بسـعة وكـبر مـا فيـه مـن الخيرات، والفضائل والمنح والعطايا الربانية العظيمة، يقـول النبـي ﷺ فـيما رواه الشيخان: **(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبـواب النـار، وصفدت الشياطين)**[(١)].

والصوم موسم عظيم من مواسم التهذيب للنفوس والسمو بـالأرواح يتعلم الصائمون فيه كيف يترفعـون عـن مظـاهر الحيوانيـة التـي كـل همهـا الأكل، والشرب، وإشباع شهوتي البطن، والفرج، يتعلمـون كيـف يَسْـمُون بأنفسـهم إلى أن يتشـبهوا بالملائكـة، ويتعـودوا الصـبر، واحـتمال الشـدائد، والجلد أمام العقبات والأحداث، ومكاره الحياة، وهو تصـفية للنفـوس مـن علائق الدنيا وشهواتها، وتخليص لها من الانهماك في متعها وزخارفها حتى لا تطغى المادية ويقوى سلطانها فيتحكم في السلوكيات، وحتى يكـون سـلطان الفضائل الطيبة هو الغالب في الإنسان، فالصوم مدرسة يتربـى فيهـا المسـلم على معان كريمة، وفضائل سامية وهي تقوده إلى أبواب الخير الواسـعة، قـال العلامة ابن قيم رحمه الله: «لما كان المقصود مـن الصـيام حـبس الـنفس عـن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلـب مـا فيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ما تزكو به مما فيـه حياتهـا الأبديـة، ويكسر-

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٣).

الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ويسكن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال»[(١)].

(١) زاد المعاد لابن القيم (١/ ١٥٣-١٥٤).

المبحث الخامس: التدرج في تشريع الصيام

إن المتأمل في تاريخ الصوم في الإسلام يتضح لديه أن الإسلام جاء فيه فرض الصوم بالتدرج، فقد فرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة في شهر شعبان منها قبل غزوة بدر، واقتضت الحكمة الإلهية أن تجيء فريضة الصوم متأخرة بعض الشيء عن بدء ظهور الإسلام، وعن تشريع غيره من الصلاة وبعض الأحكام، وذلك لأن فطام النفس، ومنعها عن مألوفاتها، ومشتهياتها جهاد فيه مشقة لا يصبر عليه إلا القلائل ممن تمكنت العقيدة من قلوبهم، فامتلأت بمحبة الله تعالى، ومحبة طاعته، وعبادته. وذلك هو منهج الإسلام الرشيد السديد في التربية، والبناء، والتوجيه، والإصلاح، وكان من التدرج، في فرض الصيام في الإسلام أنه فرض على الناس -قبل أن يفرض صوم رمضان- أن يصوموا يوم عاشوراء، وهو يوم معظم له فضله، وشرفه، وقد ثبت تعظيمه وصومه في الديانات السابقة على الإسلام، وحفظت آثار هذا التعظيم، ومظاهره عند قريش في الجاهلية، فقد كانوا يحتفلون بهذا اليوم، ويكسون فيه الكعبة، وقد وجد الرسول ﷺ مظاهر هذا التعظيم باقية في يهود المدينة بعد الهجرة، ففي الصحيحين من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه)**[(١)].

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٠٢) وصحيح مسلم (١١٢٥) واللفظ للبخاري.

المبحث السادس: الصيام أدب وعفاف

لم يكتف التشريع الإسلامي بصورة الصوم الظاهرة بل اعتنى بحقيقته وروحه كذلك فلم يحرم الأكل والشرب، والصِلات الجنسية في الصوم فحسب، بل حرم كل ما ينافي مقاصد الصوم وغاياته، وكل ما يضيع حكمته، وفوائده الروحية والخلقية، فأحاط الصوم بسياج من التقوى والأدب، وعفة اللسان والنفس، وجاءت التوجيهات النبوية الكريمة توجه الصائمين إلى أهمية التحلي بالصبر والأدب وعفة اللسان والنفس[(١)] في مواجهة جهالة الجاهلين. قال ﷺ في الحديث المتفق عليه: **(وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد، أو قاتله فليقل: إني صائم)**[(٢)]، وقال عليه الصلاة والسلام: **(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**[(٣)].

إن بعض المسلمين قد يتعاملون مع رمضان على أنه مناسبة اجتماعية، عامرة بالسهرات، واللقاءات المتعددة والأكلات المتنوعة بعيدين عما في الصوم من المقاصد السامية، فهم يفرحون بمقدم رمضان لأنه مناسبة للسهر

---

(١) يُنظر: الأركان الأربعة (٢٠٢).

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٤) وهو جزء من حديث وهذا لفظ البخاري، وصحيح مسلم (١١٥١).

(٣) صحيح البخاري (١٩٠٣).

حتى الفجر، والنـوم طـول النهـار، والتمتـع بـأنواع مـن الـولائم المتنوعـة، والمآدب المختلفة، ومن أجل قطع الطريق على أمثال هؤلاء جـاء قـول النبـي ﷺ في الحديث المتفق عليه: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقـدم من ذنبه)**[١] ليبين أن الصوم المقبول عنـد الله تعـالى هـو الصـوم القـائم عـلى الإيمان والاحتساب، لا عـلى العبـث، والضـياع، قـال العلامـة أبـو الحسـن النـدوي رحمـه الله: «وقـد يتسـاءل الرجـل الـذي لم يعـرف دخائـل الـنفس الإنسانية والأنماط البشرية المختلفة: إن رمضان لا يصومه إلا المسلمون، ولا يدعوهم إلى ذلك إلا الإيمان والاحتساب، فلـماذا قيـده لسـان النبـوة بصـفة الإيمان والاحتساب، فهو من قبيل تحصيل الحاصل؟ ولكـن الـذي توسـعت دراسـته للحيـاة وتعمقـت معرفتـه للـدوافع النفسـية، والعوامـل الخلقيـة والاجتماعية، يقف خاشعاً أمام هذه الحكمة والعلم الدقيق العميـق، ويشـهد بأنه ﷺ ﴿ø r qãÖór xv) qè ho) ÇÌÈ # qIu$Çã ßÜZf $Br﴾[٢]».

---

(١) صحيح البخاري (٣٨، ١٩٠١).

(٢) سورة النجم (٣-٤) ويُنظر: الأركان الأربعة (٢٠٢).

المبحث السابع: سلوكيات بعض الصائمين

إن الصوم الذي يخلو من روح التقوى والعفاف صورة مجردة عن الحقيقة، وجسم بلا روح، وهو صوم لا يرتفع به صاحبه إلا كما ترتفع الصخرة الثقيلة الملقاة على الأرض، وليس لصاحب هذا الصوم من صومه إلا التعب والجهد، مصداقاً لقول النبي ﷺ فيما رواه الدارمي في سننه: **(كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر)**[(١)].

وأمثال هؤلاء كثير في مجتمع المسلمين، ولم يغفل علماء المسلمين، ومفكروه الذين كتبوا عن الصيام عن هذه الشريحة من المسلمين الذين يملئون بطونهم بالليل بشتى أنواع الأطعمة، ولا يعرفون من الصوم إلا اسمه أما حقيقته فهم عنها غافلون، وعن فضائله نائمون، فتأثير الصوم في أنفسهم غير موجود؛ لأن صومهم منافٍ للتقوى التي شرع من أجلها الصوم أساساً ومخالف للأحاديث النبوية التي وصف بها أهلها.

وأمثال هؤلاء تجدهم سريعي الغضب لأدنى سبب شديدي الحمق، والسخط، وهم يعتقدون أن هذا أثر طبيعي للصوم فهم في نهار رمضان نائمون، وفي ليله لبطونهم مالئون، وبكل تافه معنيون لا يستيقظ أحدهم إلا قبيل المغرب أحمر العينين مقطب الجبين لا يجرؤ على مخاطبته أحد، أوامره

---

(١) سنن النسائي (٣٣٣٣)، وسنن ابن ماجة (١٦٩٠).

قانون صارم، ورغباته فيما تشتهي بطنه من الطعام نافذة، ينتظر وقت الغروب، وعلبة الدخان أقرب إلى قلبه من كل حبيب؛ ليخرج منها سيجارة يفطر عليها، لعلها -حسب زعمه- تعدل دماغه الذي مال من الصوم، ولينقض بعد ذلك على ألوان الطعام المختلفة بِنَهَمٍ بالغ حتى إذا امتلأت بطنه وشعر بثقل جسمه، مد يديه إلى ما يتكئ عليه، ومدَّ رجليه، واستلقى على ظهره، وأخذ يغط في نومه، فلا عِشاء في جماعة، ولا تراويح حتى إذا استيقظ هب مسرعاً ليخرج إلى أصدقاء السهرة، والويل لمن يراجعه، أو يسأله وهو في طريقه إلى سهرته.

إننا نعتقد أن نشر الوعي الديني في مجتمع المسلمين كفيل مع الأيام بأن يجعل مثل هذه الظواهر تختفي من حياتهم، والناس في إدراكهم الحقائق مختلفون فمنهم من يدركها مبكراً، ومنهم من يدركها بعد فترة من حياته، ومنهم من لا يدركها إلا متأخراً، وكم من مجتمعات كانت صلتها بكثير من أحكام دينها تتم عبر العادات والتقاليد، ثم تغيرت بعد ذلك، وأصبحت على وعي ديني كبير.

المبحث الثامن: أصناف الصائمين

لا شك أن المسلمين ليسوا سواء في القيام بحقوق الصيام، فالصوم بذلك يختلف باختلاف الصائمين، قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: «اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان، واليد والرجل؛ وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية»[(١)].

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٧٧).

المبحث التاسع: في الصيام تشبه بالملائكة

قد أفاض علماء المسلمين الذين تحدثوا عن صوم رمضـان في مؤلفـاتهم في الحديث عن المقصود من الصوم، وبيان أهدافه ومقاصده، ويـرى الغـزالي رحمه الله: «أن المقصود من الصوم التخلق بخلق مـن أخـلاق الله عـز وجـل وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكـان فإنهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرتـه بنـور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه، وكونه مبتلى بمجاهـدتها، فكلـما انهمـك في الشـهوات انحـط إلى أسـفل السـافلين والتحق بغِمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى أعليـين، والتحـق بـأفق الملائكـة، والملائكـة مقتربـون مـن الله، والـذي يقتـدي بهـم، ويتشـبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم»[(١)].

وقال ابن قيم رحمه الله: «والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعـه الله لعبـاده رحمـة بهـم، وإحسـاناً إليهم، وحِمْيةً لهم وجُنَّة»[(٢)].

إن المعاني الجميلة المتصلة بكلام ابن قيم رحمه الله -وهو من علماء الأمة الأفذاذ- واسعة، وهو كلام يدل على فقه واسع بأسرار العبادات، فالله تعـالى

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٧٩).

(٢) زاد المعاد (١/ ١٥٤).

هو الرحيم بخلقه، وجميع التكاليف التي كلف بها عباده بالفعل، أو الترك مشمولة برحمته، فرحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شيء مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿ãÆ« @äÑMèÅr ÓÉJîn‘r﴾ [(١)] وفي هذا الصدد يقرر ابن قيم أن الرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده «فالتأليه منهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده، بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم، وعافاهم، وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة، واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته فـ﴿Ä ëèø$’?ã ß»Hqs$$﴾ [(٢)] مطابق لقوله: ﴿3‘ qG¯$ ‘ Ü=èø$Å_U šú üÏ%ÉsmS$$Ç»Hqs$$ÇÈ﴾ [(٣)] فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها، فوسع كل شيء برحمته وربوبيته» [(٤)].

---

(١) سورة الأعراف (١٥٦).
(٢) سورة طه (٥).
(٣) سورة الفاتحة (١-٢).
(٤) مدارج السالكين (١/ ٨٠).

المبحث العاشر: الصيام رحمة وتراحم

المؤمنون في كل زمان ومكان يستقبلون فريضة الصوم في شهر رمضـان استقبال عبودية وامتثال؛ لأنهم يدركون مدى الرحمة الإلهية في هذه الفريضـة الشريفة والتي يجدون في قلوبهم، وأبدانهم، وحياتهم كلهـا أثـر هـذه الرحمـة التي لا يدركها إلا المؤمنون وحـدهم، وبهـذه الرحمـة تهـب ريـاح العطـف، والرأفة، والإحسان، والكرم على الصائمين، ومن لا يستشعر الرحمـة الإلهيـة في فريضة الصوم لا يمكنه أن يحس بالرحمة تجاه الآخر، بل إنه يشاهد عليه في أقواله، وأفعاله، وأحواله ما يدل على مدى القسوة، والجفوة، والغلظـة التـي تُغَلِّفُ حياته عياذاً بالله.

إن الصيام رحمة الله تعالى لعباده المؤمنين، وهديته إليهم التـي يجـدون في جنباتها ما يعيـنهم عـلى إدراك الفضـائل النبيلـة، والصـفات الكريمـة التـي تعينهم على أن يتشبهوا بالملائكـة، إن لسـان حـال المـؤمنين وهـم يسـتقبلون فريضة الصوم يقول: الصيام رحمة فيجب أن نتراحم، والصيام محبـة فيجـب أن نتحاب، والصيام رفـع لدرجـة الإنسـانية إلى مرتبـة الملائكيـة فيجـب أن نكون فـوق الحيوانيـة، وفـوق الغرائـز الجشـعة، والشـهوات الثـائرة «قيـل للأحنف بن قيس: إنك شيخ كبير، وإن الصـيام يضـعفك. فقـال: إني أعـده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه»[(١)].

ومن المظـاهر الربانيـة الرحيمـة التـي تحـيط بفريضـة الصـوم، والتـي

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٧٩).

يستشعرها المؤمنون الصائمون، ويتفيئون ظلالها في شهر رمضان المبارك: أن الله تعالى أمر بالجنة ففتحت، وبالنار فأغلقت، وبالشياطين فصفدت، وإن لهذا المظهر الكريم من مظاهر الرحمة الربانية المباركة معاني، ودلالات، وأبعاداً قريبة، وبعيدة ظاهرة، وباطنة، يستشعرها المؤمنون الصائمون وهم يتفيئون ظلال هذه الرحمة، وما يُغدق الله تعالى عليهم فيها من النفحات، والمنح، والعطايا، والبركات، وإنه لعطاء كريم من رب كريم في موسم الكرامة والإكرام، ممن كرمت نفسه بالصيام لربه إيماناً واحتساباً فهو أهل لأن يكرم من ربه الكريم.

ومن جادت نفسه بالصوم، والبذل ابتغاء مرضاة ربه، فهو حري لأن ينال الجود من الجواد الكريم، فهو سبحانه أجود الأجودين يجود بسخاء على أهل الجود من عباده، وجوده سبحانه يتضاعف في شهر رمضان.

ولقد كان إمام المؤمنين رسول الله ﷺ جواداً كريماً، وكان أجود ما يكون في رمضان، وأجود بالخير من الريح المرسلة، وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجود من بذل العلم، والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم، وتعليم جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، والرفق بهم، والإحسان إليهم، وهو ﷺ لم يزل على هذه الخصال الحميدة منذ نشأته، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: **(كلا والله لا يخزيك الله أبداً: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)**[1]، ثم تزايدت

(١) صحيح البخاري (٣) وصحيح مسلم (١٦٠) واللفظ للبخاري.

هذه الخصال فيه بعد البعثة وتكاملت، وتضاعفت أضعافاً كثيرة.

ومن مظاهر الرحمة الربانية الكريمة في شهر رمضان: أن الله تعالى أكـرم عباده المؤمنين بليلة القدر التي خصها سبحانه بمزيـد مـن القـدر والشرـف، فأنزل فيهـا القـرآن، ورفعهـا بـذلك فـوق أقـدار الزمـان، وجعلهـا موسـماً للعبادات، وميقاتاً للبر والخيرات ينتظرها الصائمون كل عام يُمَجِّدُونَ فيهـا القرآن الذي شرفت بنزوله فيها، ويستكثرون من الدعاء والطاعات في زلف منها، فهي ليلة من أشرف الليالي، وهي خير من ألف شهر، مـن قامهـا إيمانـاً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، فالعمل فيها خير من العمل في ألف شهر، والمسلمون في كل مكان يتحرونها بكـل رغبـة صـادقة، فهـي ليلـة الفضـل، والعطاء، وهي ليلـة القـرآن قـال تعـالى: ﴿$Zä $R) þ.•»6B 7#ø 'Î ç»Y¯ø¯R& $R)﴾ قال ابن كثير رحمه الله في التفسير: «يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم: إنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال تعالى: ﴿ÍöÞ)øÏ#ø 'Î ç»Y¯ø¯R& $R)﴾ [(٢)] وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿ãäeàøÏ#ø Aïéu ï‰Ïb$Ÿ‘ ãä-﴾ [(٣)]».

---

(١) سورة الدخان (٣-٤).

(٢) سورة القدر (١).

(٣) سورة البقرة (١٨٥) ويُنظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٤٥-٢٤٦).

المبحث الحادي عشر: مكانة الصيام

إن كل فريضة في الإسلام -ومنها فريضة الصيام- لها جوانب تتصل بالحديث عنها ومن ذلك: مكانتها، أحكامها، حِكمها، خصائصها، آدابها، فضائلها، مقاصدها، فوائدها وسيكون اتصالنا بهذه الجوانب من خلال حديثنا عنها متصلاً بالحديث عن فريضة الصيام إن شاء الله.

أما مكانة فريضة الصيام في الإسلام فالحديث عنها قد يتقاصر خجلاً، فتلك المكانة لا يحيط بها قلم كاتب، أو لسان خطيب، أو بيان بليغ، فشهر رمضان وهو الشهر الذي فرض الله تعالى صيامه شهرُ الخيرات والبركات، ومكانة هذا الشهر عند الله عظيمة، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، وفيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد مردة الشياطين، وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، وهو قبل ذلك وبعده أحد أركان الإسلام الخمسة.

ولا شك أن مكانة الصيام في الإسلام مكانة رفيعة، فهو من أشرف العبادات وأكرمها عند الله تعالى، وذلك أن الله تعالى لم يخصص فريضة، أو عملاً وينسبه لنفسه إلا الصوم فإنه نسبه سبحانه لنفسه بقوله في الحديث القدسي: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)**[(١)] الحديث.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(كل عمل ابن آدم يضاعف؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي،**

---

(١) صحيح البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١).

للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفطرة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[(١)].

ويرى العلامة ابن رجب رحمه الله أن استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة يدل على أن «الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿5>$¡ïmîíÍNèd•ô&brçÉÁ9$'@ñ$JR﴾[(٢)] ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر[(٣)]. وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: **(الصوم نصف الصبر)**»[(٤)].

وتظل آفاق الإضافة الإلهية في قول الله تعالى في الحديث القدسي: **(فإنه لي)** واسعة لا يحاط بها بسعة العطاء الإلهي العظيم. وقد حاول بعض الباحثين من الفقهاء والمحدثين وغيرهم ارتياد هذه الآفاق لبيان معنى هذه الإضافة الكريمة، وما يتصل بها من دلالات، ومعانٍ، وإيماءات ظاهرة، وباطنة، قريبة، وبعيدة، وقد بيَّن العلامة ابن رجب رحمه الله أن من أحسن ما ذكر في ذلك وجهان:

---

(١) صحيح البخاري (١٨٩٤، ٧٤٩٢) وصحيح مسلم (١١٥١) واللفظ له.
(٢) سورة الزمر (١٠).
(٣) يُنظر: صحيح ابن خزيمة تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي (١٨٨٧).
(٤) جامع الترمذي (٣٥١٩) ويُنظر: لطائف المعارف في المواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٤٦-٢٤٧)

«أحدهما: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جُبلتْ على الميل إليها الله عز وجل، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام لأن الإحرام إنما يُترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول، فلا يجد المصلي فَقْدَ الطعام والشراب في صلاته بل قد نُهي أن يصلي ونفسه تتوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول ما يسكن نفسه، ولهذا أُمِرَ بتقديم العَشاء على الصلاة، وذهبت طائفة من العلماء إلى إباحة شرب الماء في صلاة التطوع، وكان ابن الزبير يفعله في صلاته، وهو رواية عن الإمام أحمد، وهذا بخلاف الصيام فإنه يستوعب النهار كله، فيجد الصائم فَقْدَ هذه الشهوات وتتوق نفسه إليها خصوصاً في نهار الصيف لشدة حره وطوله، ولهذا روي أن من خصال الإيمان الصوم في الصيف؛ وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه كما قال أبو الدرداء: **(كنا مع النبي ﷺ في رمضان في سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة)**[(١)]، وفي الموطأ: **(أنه ﷺ كان بالعَرْج يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو من الحر)**[(٢)].

فإذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه، ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يطلع عليه إلا الله كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان، فإن

---

(١) صحيح البخاري (١٩٤٥).
(٢) الموطأ (٦٥٢) ومسند أبي داود (٢٣٦٥).

من يعلم أن له رباً يطلع عليه في خلوته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها في الخلوة فأطاع ربه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه خوفاً من عقابه، ورغبة في ثوابه، شكر الله تعالى له ذلك، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله، ولهذا قال بعد ذلك: إنه إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»[(١)].

«والوجه الثاني: أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وتركٍ لتناول الشهوات التي يُسْتَخْفى بتناولها في العادة، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، وقيل: إنه ليس فيه رياء كما قاله الإمام أحمد وغيره، وفيه حديث مرفوع مرسل، وهذا الوجه اختيار أبي عبيد وغيره»[(٢)].

ولأهمية الصوم وسمو مكانته، وعظم منافعه الجسمية والروحية كتبه الله تعالى فريضة على المؤمنين في الإسلام وفي الشرائع السماوية التي سبقت الإسلام قال تعالى: ﴿=Ïä$J. Ä$‹Ä 9$Ñà6 øæ =Ïä{qÃB#ä ûïÏ%©$g/'»ī﴾ ﴿bqà6? Ña²è9 Ñà6 îø `Ï šú ïÏ%©'?ã﴾[(٣)].

---

(١) لطائف المعارف (١/ ٢٥٠-٢٥١).

(٢) نفس المصدر (١/ ٢٥٣).

(٣) سورة البقرة (١٨٣).

المبحث الثاني عشر: من أحكام الصيام

لرمضان من الأحكام الشرعية ما هو خاص به لا يشاركه فيه غيره من سائر الأيام والشهور ومن ذلك:

١) الصيام فرض على المسلمين: إن صيام نهار رمضان فرضُ الله تعالى على كل مسلم بالغ عاقل مقيم علِمَ بدخول الشهر رجلاً كان أو امرأة، وجاءت فريضته في الكتاب الكريم، وفي السنة النبوية القولية والفعلية معاً.

٢) وأن لليوم في شهر رمضان حرمة لا يحل أن تنتهك، ومن انتهك هذه الحرمة بأكل أو شرب، أو وقاع عمداً فإنه تجب عليه الكفارة، وهي خاصة برمضان.

٣) ومن الأحكام المتصلة بالصيام في رمضان أن قيام لياليه سنة.

٤) وأن الاعتكاف فيه سنة.

٥) والبر فيه مضاعف ثوابه، والإثم تضاعف فيه العقوبة عند بعض أهل العلم.

٦) وأنه تشرع الجماعة لصلاة الوتر فيه، ولم تشرع في غيره.

٧) وجوب زكاة الفطر في رمضان:

ومن الأحكام المتعلقة بصوم رمضان وجوب إخراج صدقة الفطر وهي طهرة للصائم من اللغو والرفث، وهي كما يقول بعض العلماء كسجدتي السهو للصلاة، وهي بالإضافة إلى ذلك رمز كريم للتآخي والرحمة في المجتمع الإسلامي، حيث ينبغي أن تعطى لمن يستحقها من محاويج المسلمين فيُكْفَوْن حاجتهم من الطعام في أيام العيد، وهي تذكر الغني القادر بإخوانه

الفقراء، وتتيح الفرصة للصائم القادر عليها الجمع بين الصوم والصدقة، وذلك أبلغ في تكفير الخطايا، واتقاء عذاب النار، وفي حديث معاذ عن النبي ﷺ قال: **(الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)**[١] الحديث.

والصيام لا بد أن يقع فيه خلل ونقص، وتكفيرُ الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه، كما ورد ذلك في حديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: **(من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ فيه كفَّر ذلك ما قبله)**[٢] وعامة صيام الناس لا يجتمع في صومه التحفظ كما ينبغي، ولهذا نُهي أن يقول الرجل: صمت في السنة رمضان كله، أو قمته كله فالصدقة تجبر ما فيه من النقص والخلل.

٨) تعجيل الفطور وتأخير السحور:

ومن الأحكام المتصلة بصوم رمضان استحباب تعجيل الفطور وتأخير السحور وذلك يدل عليه قول النبي ﷺ: **(لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور)**[٣]، كما يستحب السحور وهو الأكل في آخر الليل، وسمي بذلك لأنه يقع في وقت السحر، ليتقوى الصائم بسحوره على صيام غده، فلا يرهقه الصوم، وجاء الأمر بالسحور في حديث النبي ﷺ قال:

---

(١) جامع الترمذي (٢٦١٦).
(٢) مسند أحمد (٣/ ٥٥) وابن حبان في صحيحه (٣٤٢٤).
(٣) مسند أحمد (٦٢٤٣).

(تسحروا فإن في السحور بركة)[١] وفي هذا الحديث دليل على أهمية السحور، فقد جاء الأمر النبوي الكريم به بصيغة الأمر الجازم **(تسحروا)** وجاء التعليل لهذا الأمر، بأن في السحور بركة، وكل مسلم يدرك قيمة وأهمية هذا الأمر النبوي الكريم يحرص على السحور امتثالاً لأمره ﷺ، وليُحَصِّلَ بركة السحور، وكان ﷺ يؤخر السحور حتى قبيل طلوع الفجر فعن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت قال: **(تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قام إلى الصلاة، قلت: كم كان بين الآذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية)**[٢] أي قدر ما يقرأ القارئ خمسين آية.

وفي الحديث النبوي الشريف بالأمر بالسحور دلالات، ومعانٍ، تدل على مدى رحمة النبي ﷺ بأمته، واهتمامه بما يعود عليها بالنفع في دينها، ودنياها، وأخراها، وتدل على علم النبوة الواسع في مجال طب الأبدان، فمن جرب تأخير السحور أدرك شيئاً من الفوائد التي يشملها الأمر النبوي بالسحور، ويشملها هديه ﷺ بتأخير السحور ففي السحور بركات وخيرات وفوائد ظاهرة، وباطنة.

والناظر في كتب السنة يجد أنه قد جاءت أحاديث كثيرة تحث على السحور، وتصفه بأوصاف تدل على مدى عناية السنة النبوية به، روى عبدالرزاق رحمه الله في مصنفه وغيرُه عن طاووس يبلغ به النبي ﷺ يقول:

---

(١) صحيح البخاري (١٩٢٣) وصحيح مسلم (١٠٩٥).
(٢) صحيح البخاري (١٩٢١) وصحيح مسلم (١٠٩٧).

قال رسول الله ﷺ: **(استعينوا برقاد النهار على قيام الليل، وبأكلة السحر على صيام النهار)**[١]، وعن عرباض بن سارية قال: **(دعانا رسول الله ﷺ في شهر رمضان إلى السحور فقال: هلموا إلى الغذاء المبارك)**[٢]. وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: **(فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور)**[٣]، وروى ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين)**[٤] والرسول ﷺ يحث أمته على السحور ولو كان جرعة ماء. قال ﷺ: **(تسحروا ولو بجرعة ماء)**[٥].

ولا شك أن كثيراً من الناس قد لا يحرص على السحور وهو أحد اثنين: جاهلٍ بفضل السحور وبركته، وما جاء فيه من الأحاديث، فهو لذلك لا يهتم به، أو مالئٍ لبطنه بشتى أنواع الأطعمة لا عند وقت الإفطار فقط، بل طوال الليل، خاصة عند منتصف الليل، ومثل هذا لا يجد رغبة في السحور لأن بطنه قد امتلأ طعاماً، والرسول ﷺ حين يحث أمته على السحور فهو يحث أمة تعلم من كلامه عليه الصلاة والسلام وتوجيهاته لها أن البطن شر

---

(١) مصنف عبدالرزاق (٦١٨٨).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦١٧٥) ومسند أحمد (٦١٧٥).
(٣) صحيح مسلم (١٠٩٦) ومسند أحمد (٦١٧٢).
(٤) مسند أحمد (٦١٧٣) وصحيح ابن حبان (٦١٩٣).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٦١٨٢) ومسند أحمد (٦١٧٣).

وعاء يملؤه ابن آدم حيث قال عليه الصلاة والسلام: **(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه)**[١] ومعلوم أن الذي لا يتوسع في أكل الطعام عند الإفطار، ولا أثناء الليل، يجد في السحور راحة، وأثراً، وهو يقبل عليه بنية امتثال أمر النبي ﷺ، وبنية أن تحصل له بركة السحور.

ولا شك أن بعض الناس يسيئون إلى أنفسهم، وصحتهم حين يظنون أن الصيام هو تحويل لياليه إلى مناسبة يكدسون فيها ألواناً من الطعام، ليملئوا بها البطون، ونسوا أن شهر رمضان المبارك هو شهر الاعتدال، والحمية، وفطام النفس عن مألوفاتها وهو تعويد لها على الفطام حتى في الأكل والشرب، فتكون لهم مواقيت لطعامهم عند الفطور وعند السحور، وأخرى لأعمالهم، وهلم جرا، ولا يليق بهم أن يتركوا الأمر للفوضى والمصادفات، فيأكلوا، ويشربوا بغير ميعاد، وبدون حساب، ففي ذلك فساد لصحة القلوب والأبدان، وإتلاف للمال، وضياع للمصالح، فينبغي على المسلم الصائم كما يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: «أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مُلئ من حلال، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله، وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر، ومعلوم أن

---

(١) جامع الترمذي (٢٣٨٠) وهو جزء من حديث.

مقصود الصوم الخواء، وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى، وإذا دُفعتْ المعدة من ضحوة النهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها، وقويت رغبتها، ثم أُطعمت من اللذات، وأشبعت زادت لذتها، وتضاعفت قوتها، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، وروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه»[(١)].

٩) دخول شهر رمضان وشهر شوال بعده لا يكون إلا بالرؤية:

ومن الأحكام المتصلة بصوم رمضان أن دخوله لا يكون إلا بالرؤية أي رؤية هلال شهر رمضان، وكذلك لا يثبت الفطر إلا برؤية هلال شهر شوال، قال ﷺ: **(لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له...)**[(٢)] الحديث، وقال ﷺ: **(صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمِّيَ عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين)**[(٣)] الحديث.

قال ابن قيم رحمه الله في زاد المعاد: «وكان من هديه ﷺ ألا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد كما صام بشهادة ابن عمر، وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد على خبرهما، ولم يكلفهما لفظ

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٧٨-٢٧٩).

(٢) صحيح البخاري (١٠٨٠، ١٩٠٦، ١٩٠٧).

(٣) صحيح البخاري (١٩٠٩) وصحيح مسلم (١٠٨١).

الشهادة، فإن كان ذلك إخباراً فقد اكتفى في رمضان بخبر الواحد، وإن كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة، فإن لم تكن رؤية، ولا شهادة أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب أكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً ثم صامه»[(١)].

والرؤية لهلال رمضان، أو لهلال شوال تدل على المرونة والواقعية في الأحكام الشرعية، لأن القمر يتحرك في منازله، وهي منازل متنقلة ليست ثابتة، وذلك ما يجعل مجيء شهر رمضان متنوعاً، فمرة يكون مجيئه في الصيف، وأخرى في الشتاء، وهكذا، والرؤية شيء متيسر محسوس وفي الأمر بها إعجاز نبوي يدل على سعة علم النبي ﷺ، فالرؤية في وقت الأمر بها تتم بالعين المجردة، والوسيلة إلى تحقيق الرؤية تتطور بتطور العلم، ومكتشفاته، ويبقى الحكم الشرعي في دخول شهر رمضان قائماً على الرؤية، لا على الحساب، وكذلك الشأن في دخول هلال شوال.

وينبغي ألا تغيب الحكمة عن بالنا في ارتباط الأحكام الشرعية التي لها صلة بالزمان بالأشهر القمرية، وذلك أمر له مجاله من التأمل والبحث في غير هذه المناسبة.

١٠ - الإكثار من الطاعات والقربات في رمضان:

ومن الأحكام المتصلة بصوم رمضان أنه يستحب فيه الإكثار من الطاعات والقربات لله تعالى خاصة في العشر الأواخر منه، قال ابن قيم رحمه

---

(١) زاد المعاد (٢٠٤-٢٠٥).

الله: «وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان يكثر فيه من الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والاعتكاف وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور»[(١)].

وكيف لا يغتنم المسلم الصائم النابه فرصة وجوده في هذا الشهر المبارك فيكثر من الطاعات، والقربات، ويقبل على ربه تائباً، منيباً، طالباً الرحمة والمغفرة، والعفو، والإحسان، فأيام رمضان أيام إكرام، وإنعام، وعطاء من الرب الكريم المنعم الرحيم، أيام تمد فيه موائد الإنعام للصوام، أيامٌ من حرم فيها الخير فهو المحروم، ومن أعطي فيها الخير فهو الفائز المحظوظ، والمسلم النابه يجد في رمضان فرصة لزيادة رصيده من الحسنات، فهو موسم من مواسم الخيرات العظيمة، التي يجد المسلم في جنباتها مساحة واسعة يتحرك في أرجائها تقرباً إلى ربه، وإحساناً إلى خلقه، وأيام رمضان تتيح للصائم فرصة لقراءة القرآن، فشهر رمضان نزل فيه القرآن، فهو شهر تلاوة القرآن، وكان بعض السلف يرون كراهة الاشتغال بالعلم عن تلاوة القرآن «قال ابن عبدالحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف، وقال

---

(١) زاد المعاد (٢٠٢).

عبدالرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان تـرك جميـع العبـادة وأقبـل على قراءة القرآن»[١] وكان محمد بن شهاب الزهري إذا دخل رمضـان قـال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعـام[٢]. قـال ابـن مسـعود: ينبغـي لقـارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس يفطرون، وببكائـه إذا النـاس يضـحكون، وبورعـه إذا النـاس يخلطـون، وبصـمته إذا النـاس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون[٣].

١١) الاعتكاف وحكمه في رمضان:

ومن الأحكام المتصلة بشهر رمضان أنه يسن فيه الاعتكاف وهـو سـنة النبي ﷺ، ففي الصحيحين عن عائشـة رضي الله عنهـا: **(أن النبـي ﷺ كـان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتـى توفـاه الله عـز وجـل ثـم اعتكـف أزواجه من بعده)**[٤]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قـبض فيه اعتكف عشرين)**[٥] قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وإنما كـان يعتكـف النبي ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لانشـغاله، وتفريغـاً

---

(١) يُنظر: لطائف المعارف لابن رجب (١/ ٢٨٣).
(٢) نفس المصدر (١/ ٢٨٣).
(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٨٥).
(٤) صحيح البخاري (٢٠٢٦) وصحيح مسلم (١١٧٢).
(٥) صحيح البخاري (٢٠٤٤).

لباله، وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجز حصيراً يتخلى فيها عن الناس، فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعليم علم، وإقراء القرآن بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية، وإنما يكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات؛ فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها، سئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يشهد الجمعة والجماعة؟ قال: هو في النار. فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد خصوصاً في شهر رمضان، خصوصاً في العشر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله. فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له هم سوى الله، وما يرضيه عنه»[(١)].

ويجيء الاعتكاف في أواخر شهر رمضان واحة آمنة مطمئنة يأوي إليها الصائمون يتفيئون في ظلالها الأنس بالله تعالى، ومناجاته، والقنوت له، منقطعين عن كل شاغل سوى ما يوصلهم بربهم سبحانه وتعالى، وهو دليل على قوة المعرفة بالله والمحبة له، وللاعتكاف آثار وفوائد عديدة تعود على المعتكف في إيمانه، وفي روحه، وعقله، وفي شخصيته، وبدنه، وفي مشاعره، وعواطفه، وفي قوته المادية والروحية، وفي شأنه كله، ولا يتم تحصيل هذه

---

(١) لطائف المعارف (٢/ ٣١٥-٣١٦).

الفوائد إلا بالانقطاع في المعتكف عن الناس، والأنس بالله عز جلاله بحيث يصير ذكره سبحانه وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته. قال ابن قيم رحمه الله في هديه ﷺ في الاعتكاف: «لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله، ولَمِّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام مما يزيده شعثاً ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه، أو يعوقه، ويوقفه اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة عن سيره إلى الله تعالى وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة. وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليه بدلها ويصير الهم به كله والخطرات كلها بذكره والفكرة في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه فهذا هو مقصود الاعتكاف الأعظم»[(١)].

(١) زاد المعاد (٢٢٢).

والاعتكاف مرتبط بالصوم «فلم ينقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطراً قط، بل قد قالت عائشة رضي الله عنها: لا اعتكاف إلا بصوم، ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله ﷺ إلا مع الصوم»[(١)].

ويذهب ابن قيم رحمه الله بناءً على ما تقدم إلى أن «القول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي رجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية»[(٢)].

ومن هديه ﷺ في اعتكافه أنه لم يكن ينشغل بشي «وكان لا يدخل بيته إلا لحاجة الإنسان، وكان ﷺ يُخْرِجُ رأسه من المسجد إلى بيت عائشة فترجله، وتغسله، وهو في المسجد وهي حائض، وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف، فإذا قامت تذهب قام معها يقلبها، وكان ذلك ليلاً، ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا غيرها»[(٣)].

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بخباء فيضرب له[(٤)] في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل «وكان إذا اعتكف طُرِحَ له فراشه، ووُضِع له سريره في معتكفه، وكان إذا خرج لحاجته مر بالمريض وهو على طريقه فلا يُعرج له، ولا يسأل عنه، واعتكف مرة في قبة تركية وجعل على سدتها حصيراً، كل

---

(١) زاد المعاد (٢٢٢).
(٢) نفس المصدر (٢٢٢-٢٢٣).
(٣) نفسه (٢٢٣).
(٤) يُنظر: صحيح مسلم (١١٧٢) وزاد المعاد (٢٢٣).

هذا تحصيل لمقصود الاعتكاف وروحه عكس ما يفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عِشْرَةٍ، ومجلبة للزائرين، وأخذهم بأطراف الحديث بينهم، فهذا لون والاعتكاف النبوي لون»[(١)].

وبعد هذا العرض لهدي النبي ﷺ في الاعتكاف يتضح للمتأمل أن الانقطاع عن الشواغل أمر أساس في الاعتكاف، ومن هذه الشواغل كثرة الحديث مع الآخرين، أو الجلوس معهم، ويمكن تجنب هذا الأمر باتخاذ أحد الغرف الملصقة بالمسجد معتكفاً بحيث لا يخرج منها المعتكف إلا للدخول في صفوف المصلين عند أداء الصلوات المفروضة، وذلك أدعى إلى البعد عن الرياء، وملاقاة الآخرين، والحديث الكثير الذي لا لزوم له.

ولعلنا نقتدي بهذا الهدي الكريم حين إرادتنا الاعتكاف في شهر رمضان المبارك فنتجنب بذلك كثيراً من السلبيات التي يمارسها كثير من المعتكفين الذين يحولون الاعتكاف إلى مناسبة للنقاش البيزنطي، والدخول في متاهات واسعة من الجدل العقيم الذي يتنافى مع روح الاعتكاف؛ هذا بالإضافة إلى كثرة الملاقاة، والتنقل للجلوس والحديث مع آخرين، ونسي هؤلاء أن الاعتكاف ليس مناسبة اجتماعية لملاقاة أهل البلد، والأصدقاء القادمين، وكثرة معانقتهم، ورفع الصوت باستقبالهم حتى لَيُخَيَّلُ للمرء حين يشاهد ذلك أنه ليس في بيت من بيوت الله، ولكنه في منتدى اجتماعي، وإلى الله المشتكى.

---

(١) زاد المعاد (٢٢٣).

١٢) الاجتهاد في الطاعات في العشر الأواخر:

ومن الأحكام المتصلة بصيام رمضان: أنه يستحب عند دخـول العشر الأواخر التشمير عن ساعد الجد، والاجتهاد في العبادة اقتـداء بفعـل رسـول الله ﷺ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله)** هذا لفظ البخاري[(١)]، ولفظ مسلم: **(أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ، وشـد المئـزر)**[(٢)]، وفي روايـة لمسـلم عنها: قالت: **(كان رسول الله ﷺ يجتهـد في العشر الأواخـر مـا لا يجتهـد في غيره)**[(٣)].

وكان عليه الصلاة والسلام يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، ومن ذلـك: إحيـاء الليـل: أي قيامـه، وإيقاظـه أهلـه للصلاة، فقد كان ﷺ «يوقظ أهلـه للصـلاة في ليـالي العشر ـ دون غـيره مـن الليالي، وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ لمـا قـام بهـم ليلـة ثـلاث وعشرـين، وخمس وعشرين، وسـبع وعشرـين ذكـر أنـه دعـا أهلـه ونسـاءه ليلـة سـبع وعشرين خاصة[(٤)]، وهذا يدل على أنه يتأكد إيقـاظهم في آكـد الأوتـار التـي ترجى فيها ليلة القدر، وخرَّج الطبراني مـن حـديث عـلي أن النبـي ﷺ كـان يـوقظ أهلـه في العشر ـ الأواخـر مـن رمضـان وكـل صـغير وكبـير يطيـق

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٢٤).
(٢) صحيح مسلم (١١٧٤).
(٣) صحيح مسلم (١١٧٥).
(٤) يُنظر: جامع الترمذي (٧٩٥-٧٩٦).

الصلاة»[١].

ومن الأعمال التي كان ﷺ يخص بها العشر الأواخر من رمضان: أنه كان يشد المئزر، والمراد بذلك اعتزال النساء، قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «والصحيح أن المراد: اعتزاله للنساء، وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون؛ منهم سفيان الثوري، وقد ورد ذلك صريحاً من حديث عائشة وأنس وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان»[٢] وذلك حرصاً منه ﷺ على بيان أهمية العمل، والاجتهاد فيه في هذه العشر التي فيها ليلة القدر والتي من وافقها قائماً لله محتسباً الأجر منه سبحانه فقد غفر له ما تقدم من ذنبه، قال جويبر: قلت للضحاك: أرأيت النفساء والحائض، والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ قال: نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر[٣].

١٣) الاجتهاد في تحري ليلة القدر وتعظيم شأنها:

وكان النبي ﷺ يجتهد في طلب ليلة القدر، وذلك يدل عليه أنه ﷺ «اعتكف مرة العشر الأول منه، ثم طلبها فاعتكف بعد ذلك العشر الأوسط في طلبها، وأن ذلك تكرر منه غير مرة، ثم استقر أمره على اعتكاف العشر الأواخر في طلبها وأمر بطلبها، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن

---

(١) لطائف المعارف (٣٠٧-٣٠٨) ويُنظر: جامع الترمذي (٧٩٥-٧٩٦).

(٢) لطائف المعارف (٣٠٩).

(٣) نفس المصدر (٣١٨-٣١٩).

النبي ﷺ قال: **(تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)**[١]، وفي رواية للبخاري **(في الوتر من العشر الأواخر من رمضان)**[٢]» فهي ليلة العطاء، والفضل، والإكرام، والعفو من الله تعالى وكان سلف هذه الأمة يهتمون بليلة القدر في الأوتار من العشر الأواخر اهتماماً يريدون من خلاله أن يكونوا على هيئة مناسبة في لباسهم، ليجمعوا بين زينة الظاهر بجديد اللباس، بعد غسل البدن، وزينة الباطن بكثرة العبادة والدعاء إلى الله تعالى.

قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، فأمر زر بن حُبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان، وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب، ولبس حلة إزاراً ورداء، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلا إلى مثلها من قابل، وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر، ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعني البصريين. وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البُناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما، ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والدُّخْنة في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر. وقال ثابت:

---

(١) صحيح الباري (٢٠٢٠) وصحيح مسلم (١١٦٩).
(٢) صحيح البخاري (٢٠١٧).

كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم كان يلبسها في الليلة التي يرجى فيها ليلة القدر، فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف، والتزين، والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد، وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات كما قال تعالى: ﴿‰Ëó Bèä‰Zïã ÒÁG^fÎ frä{﴾[1]، وقال ابن عمر: (الله أحق أن يتزين له) وروي عنه مرفوعاً، ولا يكمل التزين الظاهر إلا بتزين الباطن بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئاً»[2].

وقد اختلف الناس في تحديد ليلة القدر اختلافاً كبيراً فمنهم من حددها بليلة الواحد والعشرين من الشهر وهو المشهور عن الشافعي[3] «وقد روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أنها تطلب ليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وحُكي للشافعي قول آخر أن أرجاها ليلة ثلاث وعشرين، وهذا قول أهل المدينة، وحكاه سفيان الثوري عن أهل مكة والمدينة»[4]، «ورجحت طائفة ليلة أربع وعشرين وهم: الحسن وأهل البصرة، وقد روي عن أنس، وكان حميد وأيوب وثابت يحتاطون فيجمعون

---

(١) سورة الأعراف (٣١).
(٢) لطائف المعارف (٣١٣-٣١٤).
(٣) نفس المصدر (٣٢٧).
(٤) نفسه (٣٢٧).

بين الليلتين أي ليلة ثلاث وأربع»[(١)].

والمتأمل في أقوال السلف في تحديد ليلة القدر يتضح لديه أن القول بتحديدها بليلة سبع وعشرين هو القول الذي يجمع أدلة أكثر و«كان عمر وحذيفة، وأناس من أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين»[(٢)]، قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «واستدل من رجح ليلة سبع وعشرين بأن أبي بن كعب كان يحلف على ذلك ويقول: بالآية أو بالعلامة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها، خرَّجه مسلم[(٣)]، وخرَّجه أيضاً بلفظ آخر عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: والله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي: ليلة سبع وعشرين[(٤)]، وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق عليَّ القيام فمرني بليلة لعل الله يوفقني فيها لليلة القدر. قال: **(عليك بالسابعة)** وإسناده على شرط البخاري[(٥)]. وروى الإمام أحمد أيضاً قال: حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر

---

(١) لطائف المعارف (٣٢٨).

(٢) نفس المصدر (٣٢٨).

(٣) صحيح مسلم (٧٦٢).

(٤) صحيح مسلم (٧٦٢).

(٥) مسند أحمد (١/ ٢٤٠) والطبراني في (الكبير) (١١٨٣٦) ومجمع الزوائد للهيثمي (١٧٦/٣).

رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ **(من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين)**، أو قال: **(تحروها ليلة سبع وعشرين)** يعني ليلة القدر»[١].

«و قد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن أنها ليلة سبع وعشرين من موضعين: أحدهما : أن الله تعالى ذكر ليلة القدر في سورة القدر في ثلاثة مواضع منها، وليلة القدر حروفها تسع حروف، والتسع إذا ضُربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون. والثاني : أنه قال ﴿ Ïd ‘ Ð»=™ ﴾ فكلمة ﴿ Ïd ‘ ﴾: هي الكلمة السابعة والعشرون من السورة فإن كلماتها كلها ثلاثون كلمة. قال ابن عطية: هذا من ملح التفسير لا من متين العلم»[٢].

ومن أهل العلم من يرى أن ليلة القدر تتنقل، فلا يلزم من مجيئها في سنة ما في سبع وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو واحد وعشرين أنها تأتي كذلك في كل سنة فيما بعد، بل إنها تأتي عاماً في سبع وعشرين، وعاماً آخر في ثلاث وعشرين وهكذا، ومنهم من قال: إنها تتنقل في العشر كلها سواء كانت أوتاراً أو غيرها ومن هؤلاء: المزني، وابن خزيمة، وحكاه ابن عبدالبر عن مالك، والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق

---

(١) لطائف المعارف (٣٢٩) ويُنظر: مسند أحمد (٢/ ٢٧-١٥٧-١٥٨).

(٢) لطائف المعارف (٣٣٥).

وأبي ثور[(١)].

١٤) شأن الدعاء في ليلة القدر:

ويحسن بالمسلم أن يجمع في ليلة القدر في عمله بين الصلاة، والصـدقة، والقراءة، والدعاء، قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: أرأيت إن وافقـتُ ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قولي **(اللهـم إنـك عفـو تحـب العفـو فـاعف عني)**[(٢)] يقول العلامة ابن رجب رحمه الله: «العفو من أسـماء الله تعـالى وهـو المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو؛ فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عبـاده أن يعفـو بعضـهم عـن بعـض، فـإذا عفـا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته»[(٣)].

فأين أنت يا أخي المسلم من ساحة العفو الربانية الكريمة هل حاولـت أن تلج أبوابها المشرعة التي ليس عليها بواب، ولا حُجَّاب، فربك وخالقـك سبحانه عفو كريم يحب العفو، هل سألته في هذا الشهر أن يعفو عنـك؟ هـل تذكرت ذنوبك، ومعاصيك، وهل تذكرت نِعم الله الكثـيرة عليـك وقدرتـه عليك، وأنه مطلع على أمرك كلـه، فلـم يفضـحك، ولم يعاجلـك بالعقوبـة، لعلـك تفـيء إلى سـاحة عفـوه، وفضـله «فلـو لا طمـع المـذنبين في العفـو

---

(١) يُنظر: لطائف المعارف (٣٢٨-٣٢٩).

(٢) مسند أحمد (٦/ ١٧١) وجامع الترمذي (٣٥١٣) وسنن ابن ماجة (٣٨٥٠).

(٣) لطائف المعارف (٣٣٩).

لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكـرت عفـو الله اسـتروحت إلى برد عفوه»[١].

ولا ينبغي أخي المسلم أن تحول ذنوبك مهـما عظمـت، وكـبرت بينـك وبين الطمع في عفو الله العفو الكريم الغفـور الـرحيم، فرحمـة ربـك وعفـوه أوسع من ذنوبك، فأقبلْ على ربك غير متردد إقبال من يلقي بذنوبه في ساحة عفو ربه، معتذراً، نادماً، تائباً طامعاً في عفوه، ورحمته «كان بعـض المتقـدمين يقول في دعائه: اللهم إن ذنوبي قد عظمت فجلت عن الصفة، وإنهـا صـغيرة في جنب عفوك فاعف عني. وقال آخر منهم: جرمي عظـيم، وعفـوك كبـير، فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم»[٢]. «قال بعض السلف: لو علمت أحـب الأعمال إلى الله تعالى لأجهدت نفسي فيه فرأى قائلاً يقول له في منامـه: إنـك تريد ما لا يكون، إن الله يحب أن يعفو، ويغفر، وإنما أحـب أن يعفـو ليكـون العباد كلهم تحت عفوه، ولا يُدِلُّ عليه أحد منهم بعمل»[٣].

فيا أقدام المذنبين تحركي مسرعة إلى ساحة العفو في شهر الفضل والعفو، فاللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا وعن المسلمين يا أرحم الراحمين.

---

(١) لطائف المعارف (٣٣٩).
(٢) نفس المصدر (٣٤٠).
(٣) نفسه (٣٤٠).

المبحث الرابع عشر: خصائص الصيام

يتصل الحديث حول خصائص رمضان بالحديث عن خصائص التشريع الإسلامي، اتصالاً مباشراً، فصيام رمضان تشريع إسلامي عظيم، له خصائصه التي عني أهل العلم بالحديث عنها، وحين نقول: (بالحديث عنها) فإننا لا نعني أنهم قد أحاطوا بها، فذلك أمر لا يتيسر لأحد، فالإحاطة بخصائص التشريع الإسلامي، تعني الإحاطة بخصائص الإسلام، وحسبنا هنا أن نتحدث عن شيء من خصائص صيام رمضان وهي متعددة وكثيرة.

والمتأمل في موضوع خصائص رمضان يدرك أنها خصائص يتجدد بعضها بتجدد الزمان، وما يفتح الله تعالى به على الإنسان المسلم في فهم وإدراك شيء من هذه الخصائص في مرحلة من الزمان ربما لم تكن تيسرت لمن سبقه، وحين نقول: خصائص صيام رمضان فإننا نعني خصائص تشريعه، فمن هذه الخصائص:

١ - الربانية: فتشريع الصيام في الإسلام تشريع رباني، فالله تعالى هو الذي شرعه، وفرضه على المسلمين بنص قوله تعالى: ﴿ßqãZÏB#uä ûïÏ%©!$#ur (#qãZtB#uä ûïÏ%©!$#ur (#qãèÎ7-Fs? ...﴾ الآية. [1] قال العلامة السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى بما مَنَّ الله به على عباده بأنه فرض عليهم الصيام كما فرضه على الأمم السابقة لأنه من الشرائع والأوامر التي

---

(١) سورة البقرة (١٨٣).

هي مصلحة للخلق في كل زمان»[(١)].

وهذه الخصيصة من أهم الخصائص، فالله تعالى هو الذي فرض الصيام، فلم يفرضه نبي مرسل، أو ملك مقرب، ولا دخل لأي مخلوق أياً كان في فرض الصيام، فهو الفريضة الربانية التي فرضها الله تعالى على المسلمين في أمة محمد ﷺ، والله تعالى فرض الصيام على من كان قبل أمة محمد عليه الصلاة والسلام، قال العلامة الطاهر بن عاشور: «والصوم بمعنى إقلال الطعام على المقدار الذي يبلغ حد الشبع أو ترك بعض المأكل أصل قديم من أصول التقوى لدى المِلِّيين ولدى الحكماء الإشراقيين، والحكمة الإشراقية مبناها على تزكية النفس بإزالة كدرات البهيمية عنها بقدر الإمكان بناء على أن للإنسان قوتين: إحداهما روحانية منبثة في قرارتها من الحواس الباطنية، والأخرى حيوانية منبثة في قرارتها من الأعضاء الجسمانية كلها، وإذ كان الغذاء يَخْلُفُ للجسد ما يضيعه من قوته الحيوانية إضاعة تنشأ عن العمل الطبيعي للأعضاء الرئيسية وغيرها، فلا جرم كانت زيادة الغذاء على القدر المحتاج إليه توفر للجسم من القوة الحيوانية فوق ما يحتاجه، وكان نقصانه يقتر عليه منها إلى أن يبلغ إلى المقدار الذي لا يمكن حفظ الحياة بدونه، وكان تغلب مظهر إحدى القوتين بمقدار تضاؤل مظهر القوة الأخرى، فلذلك وجدوا أن ضعف القوة الحيوانية يقلل معمولها فتتغلب القوة الروحانية على الجسد ويتدرج به الأمر حتى يصير صاحب

---

(١) تفسير السعدي (١/ ١٢٧-١٢٨).

هذه الحال أقرب إلى الأرواح والمجردات منه إلى الحيوان، بحيث يصير لا حظ له في الحيوانية إلا حياة الجسم الحافظة لبقاء الروح فيه، ولذلك لزم تعديل مقدار هذا التناقص بكيفية لا تفضي إلى اضمحلال الحياة، لأن ذلك يضيع المقصود من تزكية النفس وإعدادها للعوالم الأخروية، فهذا التعادل والترجيح بين القوتين هو أصل مشروعية الصيام في الملل، ووضعيته في حكمة الإشراق، وفي كيفيته تختلف الشرائع اختلافاً مناسباً للأحوال المختصة هي بها بحيث لا يفوت المقصد من الحياتين، ولا شك أن أفضل الكيفيات لتحصيل هذا الغرض من الصيام هو الكيفية التي جاء بها الإسلام»[(١)].

والمسلم في أمة محمد ﷺ، وهو يؤدي فريضة الصيام يشعر بالغبطة والسعادة تملآن جوانحه، فهو يعلم أن الله تعالى هو العليم بمصالح العباد، فهو سبحانه وتعالى حين شرع لهم فريضة الصيام، فإنما يريد بهم الترقي في مدارج الكمالات الإنسانية والتي ينأون من خلالها عن مراتب البهيمية فتشرق أنفسهم، وتتنور قلوبهم بهذه الفريضة فيسيرون في طريق العبودية لله تعالى ومعرفته، وتقواه، لقد فرض الله تعالى الصوم، وفرض كيفيته التي لم يتركها سبحانه للمسلمين كي يجتهدوا في تقديرها، ولو تركها لهم لاتسعت بينهم دائرة الخلاف، ولما وسعها رحب الأرض الواسع خلافاً.

إن من مظاهر الرحمة الإلهية بالمسلمين في تشريع فرض الصيام أن الله

---

(١) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢/١٥٩).

تعالى هو الذي فرض كيفية هذا الصيام، لكي تتوحد الأمة بذلك فالحمـد لله على فضله، ورحمته، فكان في ذلك خير كثير للمسلمين، ولسائل في هذا المقام أن يسأل عن وجـود الاخـتلاف في كيفيـة الصـيام في الأديـان السـابقة عـلى الإسلام، ومجيء كيفيته على صورة واحـدة في الإسـلام، ولم يوكـل ذلـك إلى المسلمين ليتخذوا ما يرونه مناسباً لحالهم من خلال الكيفية التي يرونها، وقـد أجاب العلامة الطاهر ابن عاشور على ذلك بقوله: «شأن التعليم الصالح أن يضبط للمتعلم قواعد وأساليب تبلغ به إلى الثمرة المطلوبة من المعارف التـي يزاولها، فإن معلم الرياضة البدنيـة يضـبط للمـتعلم كيفيـات مـن الحركـات بأعضائه، وتطور قامته انتصاباً وركوعـاً وقرفصـاء، بعـض ذلـك يثمـر قـوة عضلاته، وبعضها يثمر اعتـدال الـدورة الدمويـة، وبعضـها يثمـر وظـائف شرايينه، وهي كيفيات حددها أهل تلك المعرفة وأدنـوا بهـا حصـول الثمـرة المطلوبة، ولو وكـل ذلـك للطـالبين لـذهبت أوقـات طويلـة في التجـارب، وتعددت الكيفيات بتعدد أفهام الطالبين، واختيارهم وهذا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿Ž6ãŽ$Šà6 Î ‰ƒÌ•ãŸr •ó Ž$Šà6 Î ª! $‰ƒÌ•ã﴾[1]».

٢ - حفظه من التبديل والتغيير: إن الصيام في الإسلام محفوظ بعنايـة الله من التبديل والتغيير والزيـادة، والنقصـان، فـبرغم مـا مـر بالمسـلمين في تاريخهم من ظروف قاسية، وبـرغم مـا ظهـر في سـاحة المسـلمين في بعـض الفترات من ملاحدة، فلم يجرؤ أحد على مجرد المجاهرة بإنقاص أيام الصيام،

---

(١) سورة البقرة (١٨٥) ويُنظر: تفسير التحرير والتنوير (٢/ ١٦١).

وبقيت هذه الفريضة محفوظة مصانة، والمسلمون اليوم جميعاً يعرفون شهر رمضان بأنه شهر الصوم لا خلاف بينهم في ذلك، ويعرفون أن شهر الصوم قد يكون ثلاثين يوماً، أو تسعاً وعشرين حسب رؤية الهلال، لا خلاف بين المسلمين في ذلك، ورمضان كما يقول العلامة ابن عاشور: «علم على الشهر التاسع من أشهر السنة العربية القمرية المفتتحة بالمحرم؛ فقد كان العرب يفتتحون أشهر العام بالمحرم؛ لأن نهاية العام عندهم هي انقضاء الحج ومدة الرجوع إلى آفاقهم»[(١)].

والمسلمون يدركون المعنى العظيم الواسع لهذا الحفظ الإلهي الكريم لفريضة صومهم، وهم يسمعون عن تلك الفوضى في صيام اليهود والنصارى والتي شملت توقيت الصيام وعدد أيامه، قال صاحب تفسير التحرير والتنوير رحمه الله: «وكان لليهود صوم فرضه الله عليهم وهو صوم اليوم العاشر من الشهر السابع من سنتهم وهو الشهر المسمى عندهم (تِسْرِى) يبتدئ الصوم من غروب اليوم التاسع إلى غروب اليوم العاشر وهو يوم كفارة الخطايا ويسمونه (كبُّور)[(٢)]، ثم إن أحبارهم شرعوا صوم أربعة أيام أخرى وهي الأيام الأول من الأشهر الرابع، والخامس والسابع والعاشر من سنتهم تذكاراً لوقائع بيت المقدس، وصوم يوم (بُورِيمْ) تذكاراً لنجاتهم من غصب ملك الأعاجم (أَحْشُويَرُوشْ) في واقعة (أَسْتِيرْ)، وعندهم صوم التطوع،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢/١٩٦).

(٢) هكذا ورد في التفسير ويسمى (كَيْئورْ).

وفي الحديث: **(أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً)**[(١)]، أما النصارى فليس في شريعتهم نص على تشريع صوم زائد على ما في التوراة فكانوا يتبعون صوم اليهود. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس: **(قالوا: يا رسول الله إنه يوم [أي يوم عاشوراء] تعظمه اليهود والنصارى)**[(٢)] ثم إن رهبانهم شرعوا صوم أربعين يوماً اقتداء بالمسيح، إذ صام أربعين يوما قبل بعثته، ويُشرع عندهم نذر الصوم عند التوبة وغيرها، إلا أنهم يتوسعون في صفة الصوم، فهو عندهم ترك الأقوات القوية والمشروبات، أو هو تناول طعام واحد في اليوم يجوز أن تلحقه أكلة خفيفة»[(٣)].

٣- ومن خصائص تشريع فريضة الصيام: أن رؤية هلال شهر رمضان هي التي يتحدد بها بداية الصيام، أو بإكمال شعبان إذا لم يُرَ هلال رمضان، كما أن رؤية هلال شهر شوال يتحدد بها نهاية شهر الصيام فإذا لم يُرَ هلال شوال فيكمل رمضان ثلاثين يوماً، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ومنها: وجوب الصوم متى ثبت دخول شهر رمضان، وشهر رمضان يثبت دخوله إما بإكمال شعبان ثلاثين يوماً، أو برؤية هلاله، وقد جاءت السنة بثبوت دخوله إذا رآه واحد يوثق له»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري (١٩٧٩-٣٤١٩) وصحيح مسلم (١١٥٩) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم (١١٣٤).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢/١٥٧-١٥٨).

(٤) تفسير القرآن الكريم (٢/٣٣٧).

٤ - ومن الخصائص: أن الصيام في الإسلام ليس فيه عنـت أو مشـقة، فمن كان به عذر يمنعه من الصيام فله أن يفطر، ثـم يقضي ـ أيـام فطـره التـي فطرها في رمضان، والأعذار متنوعة منها ما لا يصح الصوم معه مثل الحيض والنفاس، ومنها ما يصح الصوم معه لـو وقـع، مثـل السـفر، والمـرض غـير الثقيل، قال تعـالى: ﴿Ĕ$ƒ& ôÏ ø‰ëù 9y™ 4?ã ħ& $ÒƒÍE NãZÏ šc ¾. ` Jù﴾ •zé﴾ [١] ولما كان من القواعد المقررة أن المشقة تجلب التيسـير فقـد أبـاح الله تعالى الفطر لمن كان مريضاً أو على سفر لأن المـرض، والسـفر مظنـة المشـقة، وكذلك المـرأة إذا حاضـت، أو نفسـت فإنهـا تفطـر ولا يصـح لهـا الصـوم، فمراعاة أصحاب الأعذار يدل على مدى اليسر، ورفـع الحـرج، والمشـقة في الصيام، فلا عنت ولا إعنات وإنما رحمـة، ويسر، ورفـق مصـداقاً لقـول الله تعالى: ﴿ïÆ ãøŠ6 Î ¾ ¾ƒÍ ïÆ ãøŠ6 Î ª! $¾ƒÍ﴾ [٢] الآية.

قال العلامة ابن عثيمين رحمـه الله: «ومـن فوائـد الآيـة: أن شريعـة الله سبحانه مبنية على اليسر والسـهولة، لأن ذلـك مـراد الله عـز وجـل في قولـه تعالى: ﴿•ó ãøŠ6 Î ª! $¾ƒÍ﴾ وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **(إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)**[٣]، وكـان ﷺ يبعـث البعـوث، ويقـول:

---

(١) سورة البقرة (١٨٤).

(٢) سورة البقرة (١٨٥).

(٣) صحيح البخاري (٣٩).

(يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[١] **(فإنما بعثتم ميسرين؛ ولم تبعثوا معسرين)**[٢] ومنها: انتفاء الحرج والمشقة والعسر في الشريعة لقوله عز وجل: ﴿[illegible]﴾»[٣].

٥ - ومن الخصائص في تشريع فريضة الصيام: أنها جاءت متدرجة حيث إنها مرت بمراحل قبل أن تفرض شهراً كاملاً هو شهر رمضان، وكان من التدرج في الصيام أنه فُرض على الناس قبل أن يُفرض صوم رمضان أن يصوموا يوم عاشوراء، فهو يوم كان يصام في الجاهلية، وصامه النبي ﷺ، ثم فُرض صيامه على الناس قبل أن ينزل القرآن بفرض الصيام، وقد انتهت فرضيته بفرض صيام رمضان لكن صوم يوم عاشوراء بقي صيامه في الإسلام سنة، وقد أشار العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله إلى أن الصيام لم يفرض «إلا بعد أن هاجر الرسول ﷺ، والمسلمون إلى المدينة، وانقضت أيام العسرة والمحنة وتهيأت لهم أسباب العيش حتى لا يقول قائل: إن الصوم كان اضطرارياً، ومن وحي البيئة والحالة الاقتصادية التي كان يعيش فيها المسلمون في مكة، وأنه من شأن الفقراء والمساكين أو المضطهدين المعذبين، وأن الأغنياء والموسرين وأصحاب الأملاك والبساتين في غنى عن الصوم، ولم يفرضه إلا بعد أن رسخت العقيدة في قلوب المسلمين، وفعلت فعلها،

---

(١) صحيح البخاري (٦٩) وصحيح مسلم (٤٥٢٨) واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح البخاري (٢٢٠).

(٣) تفسير القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين (٢/٣٣٩-٣٤٠)

وألفوا الصلاة وهاموا بها، وتلقوا الأوامر والأحكام الشرعية بقبول واستعدوا كأنهم كانوا منها على ميعاد، وقد أحسن العلامة ابن القيم الإشارة إلى ذلك فقال: ولما كان فَطْمُ النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد الهجرة لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدريج»[(١)].

٦- ومن خصائص تشريع فرض الصيام: أن تشريعه يعكس وسطية التشريع الإسلامي، فالصوم في الإسلام وسطية واعتدال فهو وسط بين إفراط وتفريط، وسطية تراعي طبيعة التكوين البشري في الإنسان المسلم المكلف بالصوم، والإنسان هو مجموع مكون من الروح والجسد، فالروح لها أشواقها، وصفاؤها، وجاذبيتها وقوتها، فهي تجذب الإنسان إلى أصلها ومركزها، وتذكره بمنصبه، ومركزه، ومهمته، وغايته، وتثير فيه الأشواق والطموح، وتبعث فيه الثورة على المادة الكثيفة الثقيلة، والجسد يجذبه إلى أصله ومركزه التراب بكل ما فيه من كثافة، وثقل، وكل خصائص التراب، والإنسان بذلك تتجاذبه هاتان القوتان: قوة الروح بكل خصائصها وقوة الجسد بكل خصائصه ومكوناته، والإسلام جاءت أحكامه مراعية لهذا التكوين العجيب في الإنسان، فلم تعامله على أنه ملائكة، أو شيطان، فكان التوازن والاعتدال في هذه الأحكام التي راعت فيه جانبه الروحي، كما راعت فيه في ذات الوقت الجانب المادي في تكوينه، فكان الصوم في غاية

---

(١) الأركان الأربعة (١٨٣-١٨٤) ويُنظر: زاد المعاد (٢٠١).

المواءمة للإنسان في الإسلام فهو ليس وصالاً، وليس حرماناً من كل شيء، وليس طويلاً بل هو أيام معدودات لها بداية، ولها نهاية ، قال العلامة ولي الله الدهلوي: «ثم وجب تعيينه مقداره لئلا يفرط أحد فيستعمل منه ما لا ينفعه وينجع فيه ويُفَرِّطَ مفرط فيستعمل منه ما يوهن أركانه ويذهب نشاطه وَيُنَفِّه نفسه، ويُزِيرُه القبورَ، وإنما الصوم ترياق يستعمل لدفع السموم النفسانية مع ما فيه نكاية بمطية اللطيفة الإنسانية ومنصتها فلا بد من أن يتقدر بقدر الضرورة»[(١)]، فهو صوم في النهار، أما في الليل فكل ما كان ممنوعاً على الصائم في نهاره فهو مباح له في ليله مما أحله الله تعالى له من المنكوحات والمطعومات والمشروبات والمسموعات والمرئيات، والمقولات، ومن الأفعال والأحوال فلا مادية مفرطة في الصوم في الإسلام، ولا رهبانية طاغية «فجاء التشريع الإسلامي للصوم مستوفياً لكل ما تنشده الإنسانية الفاضلة محققاً لجميع الأغراض، والنتائج الروحية والخلقية، والنفسية والاجتماعية»[(٢)].

وإذا ألقينا نظرة على الصيام في الأديان قبل الإسلام اتضح لنا مدى الفوضى والاضطراب في ذلك، قال العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله: «أما اليهود فقد كان الصوم يعتبر رمزاً للحداد والحزن عندهم في العهد البابلي، وكان يُلجأ إليه إذا هدد خطرٌ أو إذا كان ملهم يعد نفسه لإلهام أو نبوة، وكان اليهود يصومون مؤقتاً إذا اعتقدوا أن الله ساخط عليهم غير

---

(١) حجة الله البالغة (٢/٣٦).

(٢) الأركان الأربعة (١٧٥).

راض عنهم، أو إذا حلت بالبلاد نكبة عظيمة أو خطب كبير، أو إذا أصيبت البلاد بوباء فاتك، أو بجدب عام، وفي بعض الأحيان، عندما يعزم الملك على مشروع جديد»[(١)]، فليس هناك أيام ثابتة ومحددة للصيام عند اليهود، غير صوم يوم الكفارة، والصيام يختلف باختلاف الأقاليم والمناطق التي يسكنها اليهود منذ زمن بعيد، وهي لا تعدو عن كونها تذكاراً لكوارث، واضطهادات، وأمراض أصيب بها اليهود، والصوم عند اليهود يبتدئ من الشروق وينتهي عند ظهور أول نجوم الليل إلا صوم يوم الكفارة، واليوم التاسع من شهر آب فإنه يستمر من المساء إلى المساء[(٢)].

والصيام عند المسيحيين غير واضح المعالم، فالرهبان، وبعض رجال الكنيسة يقترحون صياماً لمواجهة الإغراءات المادية، ومن الصوم عندهم ما يستغرق اليوم، أو اليومين، أو أكثر، وتشير (دائرة معارف الأديان والأخلاق) إلى خلافات جزئية في مناهج الصوم وأحكامه في الطوائف المسيحية، أما صوم أربعين يوماً فلا يوجد لها أثر حتى القرن الرابع الميلادي، ونتج عن هذه الفوضى الاستهانة بالصوم، فكان للإنسان أن يصوم متى شاء، ويفطر متى شاء، وهكذا ضاع الصوم في الأمم القديمة، وفقد تأثيره، وآثاره الروحية والخلقية وذلك ينسحب على الديانات القديمة مثل الديانة الهندية البرهمية حيث يختلف الصوم باختلاف الجنس الإنساني من حيث

---

(١) الأركان الأربعة (١٦٩).

(٢) نفس المصدر (١٧٠).

الذكورة والأنوثة، فمن الأيام ما يصومها النساء فقط بل إن الصـوم في هـذه الديانة رمز للتميز الطبقـي، فالبراهمـة يصـومون وغـيرهم مـن المنبـوذين لا يصومون، والأمر كذلك عند المصريين واليونانيين القدماء[(١)].

وأسعد الأمم بصـيامها هـي الأمـة الإسـلامية، لأن صـيامها واضـح المعالم، ثابتٌ، لا دخل لبشرـ في تحديـد كيفيتـه، وهـو وسـط فـلا إفـراط ولا إغراق، ولا تفريط أو تضييع فيـه، جـاء تشرـيعه مراعيـاً لمكونـات الإنسـان ونوازعه، وذلك يعكس منهج الإسلام في تشريع العبادات الذي يقـوم عـلى الوسطية والاعتدال.

٧- ومن خصائص التشريع الإسلامي في فريضة الصـيام: أن الصـيام نتيجته قيمة أخلاقية عالية هي رأس الأمر كله في الإسلام وتلك هـي تقـوى الله تعـالى مصـداقاً لقـول الله تعـالى: ﴿ßìà6 øæ =Ïä¢qŽB#ä ûïÏ%©!$#g'»¯≈ƒ﴾ فغايـــــة[(٢)] ﴿bqàÒ?ßìà9$#ßìà6ù=Ï% `ÏBšú ïÏ%©!$#Ÿ?ã =Ïä$J.Ÿ2$‹Ï9$﴾ الصيام في الإسلام هي التقوى، وللتقوى في الإسلام مكانة رفيعة، وفضـلها عظيم فهي الأمان والنجاة من عذاب الله، والمصير إليها واجـب، والله تعـالى أوجب الصيام لأجلها فـ«هي الحكمة الشرـعية التعبديـة للصـوم ومـا جـاء

---

(١) يُنظر: الأركان الأربعة (١٦٨-١٦٩).

(٢) سورة البقرة (١٨٣).

سوى ذلك من مصالح بدنية أو اجتماعية فإنها تبع»[(١)].

قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند حديثه عن فوائد الآية: «ومنها فضل التقوى، وأنه ينبغي سلوك الأسباب الموصلة إليها لأن الله أوجب الصيام لهذه الغاية إذاً هذه الغاية غاية عظيمة، ويدل على عظمها أنها وصية الله للأولين والآخرين لقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[(٢)]».

ويعلل العلامة ابن عاشور رحمه الله كون الصوم الصحيح موجباً لاتقاء المعاصي لأنه يؤدي إلى التقوى وهي اتقاء المعاصي قائلاً: «وإنما كان الصيام موجباً لاتقاء المعاصي، لأن المعاصي قسمان، قسم ينجع في تركه التفكر كالخمر والميسر والسرقة والغصب فتركه يحصل بالوعد على تركه والوعيد على فعله والموعظة بأحوال الغير، وقسم ينشأ من دواع طبيعية كالأمور الناشئة عن الغضب وعن الشهوة الطبيعية التي قد يصعب تركها بمجرد التفكر، فجعل الصيام وسيلة لاتقائها، لأنه يُعَدِّلُ القوى الطبيعية التي هي داعية تلك المعاصي، ليرتقي المسلم به عن حضيض الانغماس في المادة إلى أوج العالم الروحاني، فهو وسيلة للارتياض بالصفات الملَكية والانتفاض من غبار الكدرات الحيوانية»[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (٢/٣١٧).

(٢) سورة النساء (١٣١) ويُنظر: تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (٢/٣١٨).

(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢/١٥٨).

٨- ومن خصائص التشريع الإسلامي في الصوم: أن الصوم عبادة خفية لا يطلع عليها إلا الله تعالى، فالصائم يدع طعامه وشرابه وشهوته امتثالاً لأمر ربه سبحانه، فلا رياء في الصوم، ولذلك أضاف الله تعالى الصوم إليه كما جاء في الحديث القدسي المروي في الصحيح: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)**[(١)].

قال صاحب تفسير المنار رحمه الله: «وإعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأناً وأنصعها برهاناً وأظهرها أثراً وأعلاها شرفاً أنه أمر موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله تعالى، وسر بين العبد وربه لا يشرف عليه أحد غيره سبحانه، فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التي تعرض له في عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل في السنة ملاحظاً عند عروض كل رغيبة له من أكل نفيس وشراب عذب وفاكهة يانعة، وغير ذلك كزينة زوجة أو جمالها الداعي إلى ملابستها أنه لولا اطلاع الله تعالى عليه ومراقبته له لما صبر عن تناولها وهو في أشد التوق لها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا، ولسعادتها في الآخرة، كما تؤهل هذه المراقبة النفوس

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٢٣).

المتحلية بها لسعادة الآخرة تؤهلها لسعادة الدنيا أيضاً، انظـر هـل يُقْـدِمُ مـن تلابس هذه المراقبة قلبه على غش الناس ومخادعتهم؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلاً لأموالهم بالباطل؟ هل يحتال على أكل الربا؟ هـل يقـترف المنكـرات جهاراً؟ هل يجترح السيئات، ويسدل بينه وبين الله ستاراً؟ كـلا، إن صـاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي إذ لا يطول أمد غفلته عن الله تعـالى، وإذا نسي وألَمَّ بشيء منها يكون سريـع التـذكر قريـب الفـيء بالتوبـة الصـحيحة ﴿Nèd #Œfù ŧrëz2 ‹ ? ÇÜœ± 9$ ` B ×# Í»Û Nèq¦ B #Œî ŧ(ö) ?$šú ï‰Ÿžc î﴾ ﴿brçŽÅ¡tB﴾[1] فالصيام أعظم مرب للإرادة، وكابح لجـماح الأهـواء، فأجـدر بالصائم أن يكون حراً يعمل ما يعتقد أنه خير، لا عبداً للشـهوات، إنـما روح الصوم وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هـذه المراقبـة، وهـذا هـو معنى كون العمل لوجه الله تعالى»[2].

٩- ومن خصائص التشريع الإسلامي في فريضة الصـيام: أن الصـيام يجيء مرة كل عام مدة شهر اسمه: شهر رمضان، وشهر رمضان هـو الشـهر الذي أنزل فيه القرآن بـنص قـول الله تعـالى: ﴿ïšÚ Aì‹Rés ï‰bŸ B ‘ ëö- ﴾ ﴿ß#äöÿ‹$﴾[3] الآية.

قال العلامة الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «واختير شـهر رمضـان مـن

---

(١) سورة الأعراف (٢٠١).

(٢) تفسير المنار للعلامة محمد رشيد رضا (٢/ ١٤٥-١٤٦).

(٣) سورة البقرة (١٨٥).

بين الأشهر لأنه قد شرف بنزول القرآن فيه، فإن نزول القرآن لما كان القصد منه تنزيه الأمة، وهداها ناسب أن يكون ما به تطهير النفوس والتقرب من الحالة الملكية واقعاً فيه، والأغلب على ظني أن النبي ﷺ كان يصوم أيام تحنثه في غار حراء قبل أن ينزل عليه الوحي إلهاماً من الله تعالى وتلقيناً لنبيه من الملة الحنيفية، فلما أنزل عليه الوحي في شهر رمضان أمر الله الأمة الإسلامية بالصوم في ذلك الشهر، روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال: **(جاورت بحراء شهر رمضان)**، وقال ابن سعد: جاءه الوحي وهو في غار حراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان»[(١)].

وقيل: إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق شهر رمضان أيام رمض الحر فسمي بذلك، وسواء صح هذا أم لم يصح، فإن معنى المادة التي اشتق منها ذلك الاسم يصححه، فإن الإسلام قد جعل لهذا الشهر رمضان حر معنوي لا يفارقه مدى السنين، ولو جاء في أشد الأوقات برداً وقراً وذلك هو الصيام الذي افترضه الله على المؤمنين وجعلهم يرتمضون فيه بحر الجوع ليذوقوا مما يذوقه الفقراء والمساكين في كل شهر لا في شهر رمضان فقط، فيواسوهم، ويحسنوا إليهم في شهر رمضان وفي كل شهر آخر لأن الإحساس بالجوع غير وصفه، والشعور بالخصاصة غير الخبر عنها، فشهر رمضان هو شهر القرآن حيث ابتدأ نزوله فيه، وأشرقت شمسه على الوجود في ليلة من لياليه، ومن هنا كان

---

(١) تفسير التحرير والتنوير (٢/١٧٢-١٧٣).

لقاء المسلمين بالقرآن الكريم في شـهر رمضـان يختلـف كثـيراً أو قلـيلاً عـن لقاءهم به في غير رمضان، وذلك لأن شهر رمضان هو موسم القـرآن، وهـو الظرف المبارك من الزمن الذي اختـاره الله تعـالى ليكـون محمـلاً لكلماتـه إلى رسول الإسلام، وإلى أمة الإسلام، ولا شـك أن اتصـال المسـلم بـالقرآن في هذا الظرف يضفي عـلى قارئـه، أو سـامعه كثـيراً مـن نغـمات هـذا الشـهر، وبركاته، ويجد في نفسه من الانشراح، والإقبال على القرآن، ما تنفتح به أمامه آفاق المعرفة القرآنية الواسعة، وينكشف له من أسرار القرآن ما لم يقف عليـه في غير شهر رمضان، وذلك لأن المسلم الصائم وهـو يتلـو القـرآن في نهـاره يتلوه وهو صائم، ولا شك أن الصوم يحد من شهوة الجسـد، وتـتخلص فيـه الروح من كثير من قيود المادة المضروبة عليها من الجسد، وكلـما قـل الطعـام والشراب في الإنسان كلما كان أقرب إلى آيات الله وكلماته، فأقرب النـاس إلى القرآن من خفت فيه قوة المادة، وثقلـت فيـه قـوة الـروح، ولهـذا كـان شـهر رمضان موسم القرآن، ومرد المسلمين إليه جميعـاً، ولا شـك أن بـين الصـوم والقرآن صلة متينة عميقة، ولذلك كان رسـول الله ﷺ يكثـر مـن القـرآن في رمضان، والمسلم الصائم يدرك قيمة هذه الصلة، ويجـد أثرهـا في نفسـه، وفي إقباله على تلاوة القرآن في شهر رمضان.

١٠ - ومن الخصائص: أن الإسلام هدف في تشـريعه مـن وراء فـرض الصيام إلى بناء الفرد المسلم بناءً تـتجلى مـن خلالـه شخصـية المسـلم وهـي تتحلى بمكارم الأخلاق، وجميل الصـفات، فلـيس المقصـود مـن الصـوم في

الإسلام مجرد الإمساك عن شهوات الفرج، والطعام والشراب، أو حرمان الصائم يوماً كاملاً مدة شهر قمري من كل ما يشتهيه مما أحله الله تعالى له، فمن المعلوم أن من مقاصد الشريعة الإسلامية إصلاح المجتمع الإنساني، وإقامة هذا الإصلاح على أساس من الخلق الكريم، والفضائل الثابتة التي لا يقوم مجتمع فاضل إلا عليها، والإصلاح لا يثمر ثمرته، ولا يرجى بقاؤه إلا إذا كان منبعثاً من قلب الإنسان ونفسه وشعوره، ووجدانه، والإسلام يهدف فيما يهدف إليه أن يقوم الإصلاح على أسس روحية، ومعان نفسية لا على أساس من سلطة الحاكم وسطوة القانون فحسب وإلا فسرعان ما يمرق الإنسان من قيود الخير والحق والفضيلة إذا غفل الرقيب أو وجد ثغرة ينفذ منها إلى التحلل من سلطان القانون.

١١ - ومن الخصائص: أن الصيام يربي في النفس الصبر وقوة الإرادة، وأول صفة ينميها الصوم في نفس الصائم هي قوة الإرادة في الصبر على الشهوات المباحة، وإذا علمنا أن أكثر الفساد والاضطراب في حياة الناس إنما يأتي من ضعف الإنسان أمام شهواته وأهوائه أدركنا ما للصوم من أثر بعيد في حركة الإصلاح والتطهير وتكوين المجتمع المثالي الكريم، فمن الصفات التي يربيها الصوم في نفس الصائم صفة الصبر والاحتمال، والصبرُ على الطاعات، واحتمالُ ما يحيط بها من مكاره ومشاق، والصبر عن المعاصي والشهوات، فمن لا صبر له في الحياة فهو مجرد شبح يتحرك في هذه الحياة، فالحياة لا تستقيم إلا بالصبر، ولا يزال الصائم يروض نفسه على الصبر حتى

يصير عادة، وحينئذ يمكن للمسلم أن يشق عُباب الحياة المتلاطم بأمواج الفتن، والبلايا والشدائد والمكاره بكل ثبات وقوة.

١٢ - ومن الخصائص: أن الصوم يربي المسلم على الحرية، وهذه الحرية لا تتأتى إلا من خلال المنع والحرمان أي منع الصائم، وحرمانه من مشتهياته الحلال في يوم صومه، وذلك أن تمام الحرية لا كمالها قد يكون بالمنع والحرمان أحياناً فالمريض حين يمنع من الطعام الذي يضره إنما تحد حريته في الطعام مؤقتاً لتسلم له بعد ذلك حريته في تناول ما يشاء من الأغذية، والمجرم حين يسجن إنما تحد حريته مؤقتاً ليعرف كيف يستعمل حريته بعد ذلك في إطار كريم لا يؤذي نفسه ولا يؤذي الآخرين.

وهكذا اتضح لدينا أن تشريع العبادات -ومنها الصوم- يهدف إلى آثارها العملية النافعة في حياة الفرد والجماعة، فهي لم تفرض لمجرد التعبد والطاعة فهي أوضاع لوحظ فيها المعنى الدنيوي الاجتماعي إلى جانب الربح الأخروي، والتهذيب النفسي، فما أمر الإسلام إلا بطيب فيه خير يرى الناس في حياتهم العملية أثره، وما نهاهم إلا عن خبيث يلمسون شره، وضرره.

المبحث الخامس عشر: آداب الصيام

وأما آداب الصيام فهي مما يتصل فيه الحديث عن سمات التشريع الإسلامي، فالإسلام هو دين الآداب والأخلاق الفاضلة، وفي الحديث الصحيح: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[(١)] فالأخلاق الفاضلة والآداب الكريمة هي وعاء الإسلام، والمتأمل في العبادات في الإسلام ومنها صيام رمضان يدرك أن الآداب سياج يحيط بهذه العبادات، فكل عبادة لها آدابها التي تتصل بها، ويؤسفني القول في هذا المقام بأن قضية الآداب في العبادات هي العنصر الفاقد عند كثير من المسلمين، فهو جانب مهمل، وذلك أمر يحتاج من الدعاة، والعلماء، والمربين إلى معالجة صحيحة، فالإسلام هو دين الآداب الفاضلة، ولم يفتح ﷺ القلوب والحصون بجيش من الرعاع والهمج، ولكنه فتحتها برجال رباهم ثلاثة عشر سنة كاملة، فكان الواحد منهم أمة في أدبه، وأخلاقه، ولقد كان الإسلام العظيم يزجي جيوش الأخلاق قبل جيوش الخلائق.

وإذا تأملنا العبادات في الإسلام وجدناها محاطة بآداب تسبقها، وبآداب تأتي بعدها، وبآداب تصاحب هذه العبادات أثناء أدائها، فكأن هذه

---

(١) موطأ مالك (٢/ ٩٠٢) ومسند أحمد (٢/ ٣٨١) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح، قال في المستدرك (٢/ ٦٧٠): صحيح، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم. وقال الشيخ الألباني: صحيح. يُنظر: الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤١٢) والصحيحة (٤٥).

الآداب بمثابة الحمى الذي يتهيأ للمسلم من خلاله الدخول في العبادة، فالصلاة يخطو المصلي لأدائها في المسجد بسكينة وأدب ووقار، وقد ورد النهي عن السرعة في المشي إليها، ويجلس المصلي بعد أدائها في سكينة يذكر الله تعالى بالتسبيح، والتحميد والتكبير، والتهليل، والملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسه وتدعو له بالمغفرة والرحمة، والحج تتم التهيئة له بالتجرد من المخيط والمحيط، وبالإحرام ثم الشروع في التلبية، والزكاة يتهيأ باذلها باستشعار التكليف الإلهي بها وإعطائها للفقير في غير تكبر عليه، أو انتقاص من قدره، فتعطى له بكل معاني الرفق، والرحمة والإحسان، والله تعالى أحاط بيته المحرم بمساحة واسعة من الأرض تحيط به من جوانبه كلها، وتلك المساحة هي الحرم حتى يَسْتَشْعِرَ الوافد إلى البيت حرمته قبل أن يراه، والصوم محاط بسياج من الآداب، فغض البصر، وخفض الصوت، ولين الكلام، والسلوك المتزن الرفيع، والصبر، والتصبر، والتجمل، والتغافل، والتغافر، وقلة الكلام، والطعام، والمنام، وقلة الاختلاط، كلها وسواها من آداب الصوم، وهذه الآداب تزين الصوم، وصاحبه، وتضفي عليهما بهجة، وجمالاً وصفاء وبهاء، فهي بمثابة الأزهار الجميلة في الشجرة المورقة.

١ - ومن آداب الصيام: أدب استقبال الشهر، بحسن الاستعداد له، والاستبشار والتبشير بمقدمه، وحمد الله تعالى على بلوغه حمداً يلحظ فيه صاحبه معنى طلب الرسول ﷺ من ربه أن يبلغه رمضان بقوله ﷺ **(وبلِّغْنا**

رمضان)[١] الحديث، وهو معنى كبير يدل على شرف الصيام وفضله، فنفس الرسول ﷺ هي أشرف نفس خلقها الله تعالى، وهو ﷺ لم يطلب من ربه أن يبلغه أمراً حتى يدركه إلا ما كان من أمر الصيام، ومن مقتضيات الأدب في استقبال شهر الصيام المبارك، أن يفرغ المسلم باله من الشواغل قبل دخول الشهر بأيام قليلة، ويهيء نفسه بترك الفضول في مطعمه، ومشربه ومنامه، واختلاطه بغيره حتى يكون في آخر يوم من شعبان مستعداً لاستقبال هذا الضيف الكريم الذي لا يلبث أن يرحل، فأيامه معدودة، فأدب استقبال شهر رمضان يدل على مدى الاهتمام به، وإدراك شأنه وشرفه عند الله تعالى، وعند رسوله ﷺ، وعند الملائكة الكرام عليهم السلام، وعند كل مؤمن.

٢ - أدب استقبال يوم الصوم وتوديعه: ويحسن الأدب كذلك في استقبال يوم الصوم، وتوديعه أي أن المسلم يجمل به أن يكون قد فرغ من شواغل ليله، فيستعد لسحوره وهو الغذاء المبارك كما وصفه الرسول ﷺ[٢]، والسنة هي تأخير السحور بحيث يكون بينه وبين آذان الفجر بقدر ما يقرأ القارئ خمسين آية أو نحواً من ذلك[٣]، ومعنى هذا أن المسلم بعد سحوره بهذه الصفة يكون مستعداً لاستقبال يوم من أيام الصيام المبارك،

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٣/ ١٤٠) وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه زائدة بن أبي الرقاد وفيه كلام وقد وثق.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث صفحة (٣٠).

(٣) سبق تخريج هذا الحديث صفحة (٢٩).

بحمد الله على نعمة بلوغ الصيام، ويستشعر أنه سوف يستقبل يوماً شريفاً رفيعاً عند الله تعالى له حرمته ومكانته عنده سبحانه، فيدعوه سبحانه أن يوفقه لصيام هذا اليوم القادم ليؤدي فيه ما ينبغي عليه لربه، ولخلقه، كما يحسن الأدب كذلك في وداع هذا اليوم قبيل غروب شمسه، فيكون الصائم وقتها، قد انتهى من مشاغله، وجلس يستعد لتوديع يوم صومه بشكر الله تعالى على نعمة التوفيق بصوم هذا اليوم الذي سيرحل بعد قليل بغروب شمسه، ولن يعود، وهو إما شاهد للصائمين أو شاهد عليهم.

إن بعض الناس تجدهم يبحثون عما يتشاغلون به بعد صلاة العصر- وحتى الغروب مما لا فائدة فيه، فلا يحسون برحيل يوم صومهم، ومن ثم فلا يحسنون توديعه، وفي جانب آخر تجد بعض الناس يسرف في السهر فيما لا فائدة فيه، فلا يعبأ بسحور، ولا بصلاة فجر، وكأن السهر فيما لا ينفع أمر أساس في ليالي رمضان.

والناس يختلفون في استقبالهم لرمضان، فمنهم من يستقبله بقلبه، وروحه، ومشاعر الحب، والإقبال. ومنهم من يستقبله، بالرغبة في تكديس الأطعمة، والتلذذ بأنواع المأكولات والمشتهيات من الطعام والشراب أي أنه يستقبله بشهوة بطنه. ومنهم من يستقبله بالرغبة في السهر مع الأصدقاء، والتلهي بأنواع من الهوايات واللعبات يرى -حسب زعمه- أن رمضان لا يكون جميلاً إلا بمزاولتها.

والمتأمـــل في قـــول الله تعـــالى: ﴿ßìà6 øæ =Ïäƒ¢qÆB#ä ûïÏ%©!$#gƒ'»ƒ﴾ يـــــدرك[١] ﴿bqà)Gƒ? ÏN≡uqè9 ÏNºà6 îƒÍ‘ `ÏB šúïÏ%©!$#'?ã =Ïäƒ$J. Ï$<Å9$﴾ مباشرة مدى العلاقة القوية بين المؤمنين وبين الصيام، فـالمؤمنون هـم الـذين يدركون أهمية وشأن شهر الصوم في حياتهم وأثره الواسع في جميع أنحاء هذه الحياة، ويدركون كذلك أن من وُفِّـقَ للخـيرات والأعـمال الصـالحة في هـذا الشهر، حالفه التوفيـق في طـول السـنة، ومـن قضى الشـهر في تَـوَزُّعِ بـال، وتَشَتُّتِ حال مضى العام كلـه في تشـتت واضـطراب، والمؤمنـون يسـتقبلون التكليف الإلهي في هذه الآيـة الكريمـة بمنتهـى الحـب، والرغبـة والإقبـال، فالتكليف الكريم جاء في ألفـاظ رقيقـة جميلـة تخاطـب في المـؤمنين الـروح، والوجدان، والمشاعر، والعقل، والقلب، والعاطفة، فهي ليست قوالب جافة جامدة لا روح فيها، والله تعالى رتب التقوى على الصـيام بصـيغة تـدل عـلى الرجاء ﴿bqà)Gƒ? ÏN≡uqè9﴾ حتى يجتهد الصائمون في الوصول إلى تحقيق ما بـه يـتم لهـم التقـوى، وهـو نظـير قولـه تعـالى: ﴿mƒ& $èŠÏd «!$#'ÎûÈ,Ïk=yèø9$#﴾ [٢].

٣- ومن آداب الصيام: ترك فضول الطعام وهو يشمل كل ما زاد عن حاجة الإنسان، ولا شك أن الإنسان تكفيه مـن طعامـه لقـيمات قليلـة تقـيم

---

(١) سورة البقرة (١٨٣).
(٢) سورة النور (٣١).

صلبه، وإذا كان لا بد أن يتجاوز هذا الحد فليكن ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه حتى يحس بالراحة وحتى يؤدي صلوات الليل المفروضة، والمسنونة بنشاط وحيوية، وذلك من شأنه أن يجعله يقبل على الغذاء المبارك طعام السحور برغبة وامتثال فيحصل له بذلك خير كثير، فليس الغرض من الصيام فتح أبواب الرغبات أمام النفس فيما تشتهيه من لذائذ الطعام، لتأكل كيفما تريد، وتلتحق بغِمار البهائم، ولكن الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، والاعتدال في تناول الطعام والشراب وترك فضولها وتضييق مجاري الشيطان من العبد، فالشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، و(**الصوم جُنَّة**)[١] ومعنى أن الصوم جُنَّة أي وقاية أي أنه يقي صاحبه من الشيطان، وذلك يتم بتضييق مجاري الشيطان من العبد الصائم، بتضييق الأسباب المؤدية، وذلك بترك فضول الطعام.

٤ - ومن آداب الصيام: ترك فضول الكلام، فينبغي للصائم أن يتجنب فضول الكلام، وهو مما لا فائدة منه تعود على صاحبه في دين، أو دنيا، أو آخرة، والله تعالى وصف عباده المؤمنين بقوله: ﴿šÆ Ï Ém ÏG$ ’ Î ÿ ÏÈ ﴾ [٢] الآية، كما أمرهم بقول الحسنى للناس بقوله سبحانه: ﴿ ﴾

---

(١) صحيح البخاري (١٧٩٥) وصحيح مسلم (١١٥١).
(٢) سورة الحج (٢٤).

﴿$Ÿ2ö ãn Ä $Y=ï[1] الآيـة، وكـلام كـل شـخص يحمـل رداء قلـب صـاحبه، والرداء مختلف الألوان، وكل لون له دلالاته التي تدل على ما استقر في ذلـك القلب من إيمان وسواه.

إن بعض الناس يكثرون في صومهم من الثرثرة الكلامية التي لا قيمـة لها، والتي لا داعي لها أصلاً، ومنهم من يكثر من النكات حتى يظهر بمظهـر المتظرف أمـام الآخـرين، ولا شـك أن النكـات نـوع مـن الكـذب والمسـلم الصائم ينبغي أن يحفظ لسـانه عـن الهـذيان، والثرثـرة، والكـذب، والغيبـة، والنميمة، والفحش، والجفاء، والخصومة والمراء، ويلزمه السكوت، ويشغله بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن.

٥ - ومن آداب الصيام: ترك فضول السماع أي أن الصـائم عليـه أن يبتعد عن سماع كل ما لا خير فيه مثل سماع الأغاني وسـماع الغيبـة للآخـرين وسماع كل ما لا فائدة فيه؛ لأن كل ما حرُم قوله حرُم الإصغاء إليه، ولـذلك سَوَّى الله بين المستمع للحرام، وآكل السحت، فقال سـبحانه: ﴿šc qè=ÏÜ™﴾ šc qßÿ»ÏÜ9$ÏÜ8ÏÜ]ƒ ÏÜwÏÜ9﴾[2]، وقـال تعـالى: ﴿Mós¡ ïÜ bqè=2 &É Ê3tÜ﴾[3]، فالسـكوت عـن الغيبـة وسواها مما حرمه الله حرام.

---

(١) سورة البقرة (٨٣).
(٢) سورة المائدة (٤٢).
(٣) سورة المائدة (٦٣).

٦- ومن آداب الصيام: ترك فضول المنام أي ترك النوم الذي لا تدعو الضرورة إليه، وذلك أن أيام شهر رمضان سريعة الذهاب والانقضاء، فكيف ينام فيها زيادة على ما هو ضرورة للجسم. ومن المعلوم طبياً أن كثرة النوم لها آثار سلبية على النفس، والجسم.

إن بعض الناس يظن أن الصيام مرتبط بكثرة النوم خاصة في النهار، فتراه ينام غالب اليوم ولا يستيقظ إلا عند الغروب، ورمضان موسم كريم يُعَلِّم المسلمين تنظيم الأوقات من خلال أداء الواجبات، وإذا نظم المسلم أوقاته في أيام رمضان بين الصلاة، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى، وفعل بعض القربات، والطعام في وقتيْ الفطور والسحور، وأَخْذِ قسط مناسب مريح من الراحة، والنوم، مع القيام بمهام الوظيفة، وواجبات الأسرة، إذا نظم المسلم أوقاته وفق مهامه التي أشرنا إليها فإنه بالتأكيد لن يبقى لديه فراغ.

إن الذي ينام أكثر مما تدعو إليه الضرورة هو الذي لا يحسن تنظيم أوقاته، أو هو الذي لا يريد ذلك، فيجد في النوم طويلاً هروباً يريحه من تنظيم المهام والواجبات، فموقفه هو موقف العاجز.

٧- ومن آداب الصيام: ترك فضول الخلطة أي الاختلاط بالآخرين، إن الاعتدال في الاختلاط بالآخرين أمر مطلوب ومرغوب في غير رمضان، أما في رمضان فالأمر في ذلك ينبغي أن يزيد على حد الاعتدال، إلى حد

الإقلال من الاختلاط، فالاختلاط يأكل الأوقات كما تأكل النار الهشيم، والإنسان لا يعيش في هذا الكون لوحده وهو محتاج لغيره، وهو في ذات الوقت ليس مقطوعاً من خشب بل إنه مخلوق إنساني له أصوله، وفروعه من الرحم، وله أصدقاؤه ومعارفه، وله حقوقه وعليه واجباته وهو في ضوء ذلك محتاج إلى الاختلاط بالآخرين، ولكن الأمر في شهر رمضان يحتاج إلى ضبط واتزان، وإلا أفسد الاختلاط غير المنضبط صوم صاحبه، وذهب بفوائده.

إن المسلم يحتاج في رمضان إلى حِمْية لا في طعامه وشرابه فحسب، بل في مناحي حياته كلها، وهذه الحِمْية ستعود عليه بالعافية في حياته كلها، هذه الحِمْية يحتاجها الصائم وينبغي عليه أن يحرص عليها، ويتعامل معها تعاملاً لا يحس فيه بأدنى عنت أو مشقة.

إن صيام رمضان يمكِّن المسلم الصائم من السير في طريق التكامل لظاهره، وباطنه، وذلك أن من مقتضى الحياة الهادفة أن يكون سلوك الفرد، وتصرفاته دائماً في ظل منهج واحد تتكامل أجزاؤه من هنا وهناك، ويرتبط بوحدة كاملة تجعله دائماً على الطريقة التي طُلِبَ أن يستقيم عليها فرداً نافعاً في الحياة تضيء قلبَه عقيدةُ التوحيد، وتظهر على جوارحه آثار العبادة، لا يباعد بينه وبين الغاية الكبرى التي تتمثل في العبودية الحقة لله تعالى عرض زائل، ولا غرض قريب.

٨- ومـن آداب الصـيام: ترك فضـول النظـر، بمعنـى ألا تمتـد عينـا الصائم للنظر فيما لا يُرجى من ورائـه خـير، وذلـك يشـمل النظـر إلى صـور النساء في الصحف، والمجلات، ومشاهدة المسلسلات والتمثيليـات التـي لا فائدة ترتجى منها وخاصة تلك التي تكـون فيهـا نسـاء، وامتـداد العينـين إلى النظر فيما حرم النظر إليه مـن النسـاء والأشـياء، والنظـرة سـهم مـن سـهام إبليس، والوسائل لها حكم المقاصد، فينبغي على الصائم أن ينأى بنفسـه عـن كل الأسباب التي تدعوه إلى التفكير في المرأة، حتى يظل منسـجماً في صـومه، مع هدوء عواطفه، وراحة نفسه، واطمئنان قلبه، وأن يبعد نظره كـذلك عـن التطلع إلى أحوال الآخرين خاصة من أهل الثـراء في هـذه الـدنيا فـإن ذلـك يقسي القلب ويملأ النفس هماً وغماً، وينبغي على المسلم العاقل ألا تمتد عينـاه بالنظر إلى ما لا فائدة منه سواء في رمضان أو غيره.

٩- ومن آداب الصيام: ترك الجدال فيما لا فائدة من ورائـه، والمشـاهَد في رمضان أن ثمة أنواعاً من الناس لديهم هواية الجدال في رمضان وفي غـيره وكأن الجدال مكون من مكونات شخصياتهم فهـم يحبونـه ولا يَمَلُّـون منـه، والمسلم وهو يصوم رمضان يحسن به أن يحـذر هـؤلاء ويبتعـد عـنهم حتـى لا يجرح صومه، والجدال قد يقـود إلى المـراء، وإذا كـان تـرك الجـدال الـذي لا فائدة من ورائه مطلوباً في رمضان وفي سـواه فـإن تركـه في رمضـان ألـزم للصائم، وذلك أن الصائم يحسن به أن يقلل مـن الكـلام إلا فـيما يـرضي الله تعالى، وعليه أن يجتهد في هذا الشهر المبارك الذي ينيب الناس فيـه إلى ربهـم،

ويؤمـون بيوتـه فتمتلـئ المسـاجد بالمصـلين متعبـدين، وتـالين لكتـاب رب العالمين، لا مجادلين ولا نائمين، الكل يستغفر ربه لذنوبـه وخطاياه، والكـل يعرف أن أيام هذا الشهر الكريم تتصرم سراعـاً، فهـي فرصـة للمسـلم كـي يتفقد حالـه مـع خالقـه فيتـدارك مـا فاتـه، فشـهر رمضـان شـهر الخـيرات والعطايـا، والمـنح، والبركـات، فيـه تكفـر السـيئات، وترفـع الـدرجات، وتضاعف الحسنات والمكْرُمات، شهر تعددت فضـائله، وتنوعـت خيراتـه، وعمت بركاته، فالصائم فيه متلـبس بعبـادة ربـه، وهـذا بخـلاف العبـادات الأخرى، التي لا يتلبس العبد بالعبادة إلا في أثناء أدائها وحسب، أما الصـوم فإن الصائم في عبادة متواصلة مـا دام صـائماً لا يقطعـه عـن ذلـك شيء مـن أموره الاعتيادية المباحة، من بيع وشراء وتعليم، وسعي، وعمـل في وظيفـة، ونوم محتاج إليه، وزراعة، وصناعة، وأكل، وراحة وسوى ذلك مما أباحـه الله تعالى، وهذا معنى عظيم يعكس لنا قيمة وشرف التكليف الإلهـي للمـؤمنين بصوم رمضان وذلك يقودنا إلى الحديث عن فضائل الصيام.

المبحث السادس عشر: فضائل الصيام

ومن الذي يستطيع أن يستقصي بالحديث فضائل شهر الصيام، فالشهر كله فضائل، وحسبنا أن نشير إلى شيء منها، ومن ذلك:

١ - أنه شهر المغفرة، والرحمة، والعتق من النار حيث يجود الله فيه على عباده بالمغفرة والرحمة، والعتق من الناس لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: **(وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)**[(١)] الحديث، والشهر كله رحمة ومغفرة وعتق، وقد ورد في الحديث الصحيح: أنه تفتح فيه أبواب الرحمة، وهو لفظ مسلم[(٢)]، وفي الترمذي وغيره: **(ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة)**[(٣)] الحديث، وفي حديث ابن عباس المرفوع: **(لله في كل ليلة في شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار، فإذا كان ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة أعتق في كل ساعة فيها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره)**[(٤)]، «فيا أرباب الذنوب العظيمة الغنيمةَ الغنيمة في هذه الأيام الكريمة

---

(١) صحيح البخاري (١٢٨٤) وصحيح مسلم (٩٢٣).

(٢) صحيح مسلم (١٠٧٩).

(٣) جامع الترمذي (٦٨٢)، وصحيح البخاري (١٨٩٨) وصحيح مسلم (١٠٧٩).

(٤) يُنظر: لطائف المعارف (٢/ ٣٥١).

فما منها عوض، ولا تساويها أي قيمة، فكم يُعتق فيها من النار من ذي جريرة وجريمة، فمـن أعتـق فيهـا مـن النـار فقـد فـاز بالجـائزة العظيمـة والمنحـة الجسيمة»[(١)]، «إن كانت الرحمة للمحسنين فالمسيء لا ييأس منهـا، وإن تكـن المغفرة مكتوبة للمتقين فالظالم لنفسه غير محجوب عنها.

إن كـــان عفـــوك لا يرجـــوه ذو خطـــأ

فمـن يجـود عـلى العاصـين بـالكرم

إن كـــــان لا يرجـــــوك إلا محســـــن

فمن الذي يرجو ويدعو المذنب»[(٢)]

فيا أيها العاصي المـذنب –وأنـا مثلـك- لا تقـنط مـن رحمـة الله لسـوء أعمالك، فكم يعتق الله من النار في هذه الأيام من أمثالـك وأمثـالي، فأحسـن الظن بمولاك وتب إليه فإنه لا يهلك عـلى الله إلا هالـك[(٣)]. وجـدد صـلتك بربك الغفور الرحيم، واقتنص فرصة صيام هذا الشهر وقيامه لربـك لتغفـر ذنوبك وتخرج منها كيوم ولدتك أمك، قال النبي ﷺ في الحديث الصـحيح: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنوبه)**[(٤)] الحديث، فأين أنت من هذا العطاء الجزيل، والخير العميم، لا تكن أسير ذنوبـك، ولا تـدع

---

(١) لطائف المعارف (٢/٣٥١).

(٢) نفس المصدر (٢/٣٥١).

(٣) نفسه (٢/٣٥١).

(٤) صحيح البخاري (١٩٠١) وصحيح مسلم (٧٦٠) واللفظ له.

الشيطان يقنطك من رحمة ربك، فربك وسعتْ رحمتـه كـل شيء، وهـو جـل جلاله واسع المغفرة، وهو الـذي يغفـر الـذنوب جميعـاً، ألم تسـمع إلى ربـك الرحيم الكريم وهو ينادي عباده -وأنت واحد منهم- بنداء رقيق يحمل كـل معاني الرأفة والإحسان بقوله عز مـن قائـل: ﴿ * @è ƒ»è7$Š " $!%Ïïû & óŽèq(ã?# &Rãy Ågûn ÿw ?)ZüqèB `§ qHpi$! « ÏbŠ$© /ùøäy$!%qç > dÏ‹è$ ÞRçq¼ èq ã$øÿqàg9$ 9$§mÏLïã ﴾[1]، إنه ينادي كل من أذنب من عباده بـأي نـوع مـن أنـواع الذنوب ولو كان شركاً، فالخلق كلهم عباده، إنه يدعوهم إلى الأوبـة والتوبـة إلى ساحة رحمته الواسعة، ليلجوا أبوابها فليس عليها بواب ولا حُجَّاب، إنهـا مفتوحة لهم في كل وقـت حتـى تطلـع الشـمس مـن مغربهـا، قـال العلامـة ابن كثير في تفسير الآية: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفـرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منهـا ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر»[2].

وقال رحمه الله: «ولا يقـنطن عبـد مـن رحمـة الله، وإن عظمـت ذنوبـه وكثرت؛ فإن باب التوبة والرحمة واسع»[1].

ألم تعلم يا أخي المذنب -وأنا مثلك- أن الله تعالى «دعا إلى مغفرتـه مـن

(١) سورة الزمر (٥٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٠٦-١٠٧).

(١) نفس المصدر. ويُنظر في موضوع التوبة: (من معالم الهدي القـرآني في التوبـة) للمؤلـف، نشر دار طيبة الخضراء بمكة المكرمة.

زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيـراً ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة»[(١)]، و«دعا إلى توبته من هو أعظم قولاً من هؤلاء، من قال: ﴿ [illegible] ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ [illegible] ﴾[(٣)] »[(٤)]، فإذا كان الله جل جلاله قد دعا هؤلاء الكفرة، وغيرهم مثلهم إلى أن يتوبوا إليه - وعلى رأسهم فرعون الذي ادعـى الألوهيـة - ولا يقنطـوا مـن رحمتـه، فهـل تيأس أنت أخي المسلم الموحد من رحمة ربك الذي يغفر ذنوب عباده جميعـاً، خاصة وأنت في شهر رمضان شهر الرحمـة والرضـوان والغفـران، وأبـواب الخير فيه مشرعة، فهو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتوصد أبـواب النـيران، وتسلسل مردة الشياطين، ويقال لباغي الخير أقبل، ولباغي الشر أقصرْ[(١)].

٢ - ومن فضائل شهر رمضان شهر الصيام: أنه شـهر الجـود والبـذل، فالله تعالى هو الجواد الكريم وهو يجود على عباده الصائمين، ويحب مـنهم أن يجودوا على غيرهم. قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «فـالله سـبحانه وتعـالى أجود الأجودين، وَجُودُه يتضاعف في أوقات خاصة كشـهر رمضـان، وفيـه

---

(١) تفسير ابن كثير (١٠٨/٧).
(٢) سورة النازعات (٢٤).
(٣) سورة القصص (٣٨).
(٤) تفسير ابن كثير (١٠٨/٧).
(١) يُنظر: صحيح البخاري (١٨٩٨) وصحيح مسلم (١٠٧٩) وجامع الترمذي (٦٨٢).

أنزل قوله تعالى: ﴿ Æ!$oqãŠ Ï‹Åé ë fì% 'õù Óíã " Ï$6ã 7 9'™ #Œîr ﴾ Ï$ãŠ #Œî [١] . وأخرج مسلم في صحيحه، والترمذي وغيرهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن ربه قال: **(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وحيكم، وميتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأني جواد واجد ماجد، أفعل ما أريد، عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له: كن فيكون)** [٢] ».

وقدوة الأمة الأعظم ونبيه الأكرم ﷺ كان أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم، وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة «وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه: (والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ،

---

(١) سورة البقرة (١٨٥).

(٢) صحيح مسلم (٥٧٧) وجامع الترمذي (٤٩٥) واللفظ له.

وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)[١] ثـم تزايـدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة»[٢].

ولأن الجود في الإنسان ترتبط به جميـع الصـفات الفاضـلة لأن الجـواد حسن الظن بربه وتلك صفة عالية نبيلة في الإنسـان، وبالمقابـل فـإن البخـل ترتبط به جميع الخصال الذميمة لأن صفة البخل في الإنسان تقـوم عـلى سـوء الظن بالله تعالى وتلك أقبح صفة توجد في إنسان. ولذلك فإنك تجـد في كـل كريم صفات كريمة يحبها الله تعالى ويحبها رسوله ﷺ ويحبها المؤمنون في كـل زمان ومكان، وعلى العكس من ذلك البخيـل، والإسـلام هـو ديـن الكـرم، وشهر رمضان شهر الكرم والجود، شهر الخير والبر والعطاء، يمثل معلماً من معالم التربية الإسلامية الراشدة في تربية المسلمين على هـذه المعـاني، ولـذلك تجد النفوس تتغير في هـذا الشـهر إلى البـذل والجـود والعطـاء، حيـث تـرق وتصفو، وترحم، فيتسابق المسـلمون في أنـواع الجـود، فيجـودون فيـه عـلى إخوانهم المحاويج، ومن جاد على عباد الله جاد الله عليـه بالعطـاء والفضـل، والجزاء من جنس العمل «كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين فإذا منعهم أهله لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامـه أخـذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنـة فيصبح صائما ولم يأكل شيئا، واشتهى بعض الصـالحين مـن السـلف طعامـاً

(١) صحيح البخاري (٣) وصحيح مسلم (١٦٠) واللفظ للبخاري.
(٢) لطائف المعارف (١/ ٢٧٠-٢٧١).

وكان صائماً فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلاً يقول: من يقرض المليَّ الوفيَّ الغنيَّ؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات. فقام فأخذ الصحفة، فخرج بها إليه وبات طاوياً. وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره، ثم طوى وأصبح صائماً»[(١)].

ويحسن بالمسلم أن يوسع دائرة جوده في رمضان «قال الشافعي رحمه الله: أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم»[(٢)].

والجود من الخصال الحميدة التي يحبها الله تعالى، ويحبها رسوله ﷺ والملائكة والمؤمنون، ولشرف صفة الجود وفضلها فإنها حين وجودها في الإنسان تغطي على غيرها من صفات سلبية، وبالمقابل فإن صفة البخل حين توجد في الإنسان فإنها تغطي على بعض الصفات الإيجابية التي قد توجد في صاحبها.

وأبواب الجود أمام المسلم في هذا الشهر خاصة كثيرة، فيحسن به أن يوصل جوده إلى الوالدين، وأقاربه وأصدقاءه، وجيرانه، وإلى المسلمين، والجود يشمل الجود بالمال، والجود بالأخلاق الفاضلة، مثل ملاطفة المسلمين بحسن معاملتهم، والتبسم في وجوههم، والسؤال عن أحوالهم،

---

(١) لطائف المعارف (١/ ٢٧٨-٢٧٩).
(٢) نفس المصدر (١/ ٢٧٩).

والسعي في قضاء حوائجهم، وعيادة مريضهم، وتمني الخير لهم، والعطف على فقيرهم، والرحمة بصغيرهم، والتوقير لكبيرهم، واحترام وتوقير أهل العلم والفضل فيهم، وقبل ذلك كله مبادرتهم بتحية الإسلام التي تؤلف بين قلوب المسلمين، وتدفع عمن يقولها غائلة الكبر، والله يهدي من يشاء إلى تحية الإسلام.

ولذلك يحسن بالمسلم أن يظهر جوده في شهر رمضان شهر الجود، فالله تعالى هو الجواد الكريم، وهو سبحانه يحب من عباده أن يجود بعضهم على بعض، ليجود عليهم بجوده العميم.

إن الإنسان لا يعيش لوحده في هذا الكون فهو مرتبط بالآخرين، وهو في حاجة إليهم وهم في حاجة إليه «وليس الصوم مجموعة من أمور سلبية فقط، فلا أكل ولا شرب، ولا غيبة، ولا نميمة، ولا رفث ولا فسوق ولا جدال، بل هو مجموع أمور إيجابية كذلك فهو زمن العبادة والتلاوة والذكر والتسبيح، والبر والمواساة، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(من فطَّر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء)**[(١)]».

ويذهب العلامة ابن رجب رحمه الله إلى أن «الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة، كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(١) مسند أحمد (٤/ ١١٤-١١٥-١١٦) وسنن النسائي (٣٣٣١) وجامع الترمذي (١٧٤٦) قال الترمذي: حسن صحيح، ويُنظر: الأركان الأربعة (١٩٥).

قال: (**إن في الجنة غرفاً يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها. قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن طيَّب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**)[(١)]، وهذه الخصال كلها تكون في رمضان، فيجتمع فيه للمؤمن الصيام، والقيام، والصدقة، وطيب الكلام ويُنْهى فيه الصائم عن اللغو والرفث. والصيام والصلاة والصدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل؛ قال بعض السلف: الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق، والصيام يوصله إلى باب الملك، والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك»[(٢)].

٣- ومن فضائل الصيام: أن الله فرضه في شهر رمضان، وشهر رمضان هو شهر القرآن بنص قول الله تعالى: ﴿ïšÏ Aì‹Réu ï‰Ïb$ŸÒB‘ ëö-﴾ ﴿È$%ëöèøÏ 3‘ ‰ÇÚø‹s` ÏB ÍM»¥Ér Ä $Y-ÿ ” ¼çÏ ÈöèøÏ﴾[(١)]، وفيه أنزلت الكتب السابقة على القرآن. جاء في المسند عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ قال: (**نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**)[(٢)].

والعلاقة بين الصيام والقرآن علاقة وطيدة، فشهر الصيام أيامه صيام،

---

(١) جامع الترمذي (١٩٨٤).
(٢) لطائف المعارف (١/ ٢٧٦).
(١) سورة البقرة (١٨٥).
(٢) مسند أحمد (٤/ ١٠٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٩/ ٣١٧).

وليالليه قيام لله تعالى بالقرآن، أخرج أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب: منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان)** [(١)]، وكان رسول الله ﷺ يكثر من قراءة القرآن في رمضان، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن [(٢)]، وكان للصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم مع القرآن في رمضان شأن، وأي شأن، فكانوا يقرءونه في نهارهم ويقومون به في ليلهم.

واقتدى المسلمون بنبيهم ﷺ في الإكثار من قراءة القرآن في رمضان، والقيام به في صلاة التراويح، وفي صلاة التهجد وهي في العشر الأواخر من رمضان، ومساجد المسلمين في رمضان مفتوحة طوال اليوم يرتادها المسلمون لقراءة القرآن، ولأداء الصلوات المفروضة جماعة، وفي ليالي رمضان تمتلئ المساجد بالمصلين لفريضتي المغرب والعشاء ثم لصلاة التراويح وهم يصلون هذه الصلاة، ويستمعون في خشوع إلى آيات القرآن كاملاً طوال شهر، إضافة إلى استماعهم إلى الآيات الكريمة في صلاة التهجد في العشر الأواخر من رمضان حيث تكون القراءة أطول في الركعات العشر.

وإنه لمعنى كريم في التربية والبناء والتهذيب والإصلاح نستشفه من

---

(١) مسند أحمد (٢/ ١٧٤) ومستدرك الحاكم (١/ ٥٥٤).

(٢) يُنظر: صحيح البخاري (٤٩٩٧) وصحيح مسلم (٢٣٠٨).

وراء أهمية استماع المسلمين إلى آيات القرآن الكريم طوال شهر رمضان وهـو معنى يقودنا إلى إدراك أثر القرآن الكريم في بناء الأمة وتجديد شبابها.

إن أمة الإسلام قد جعل الله تعالى لها ميادين متعددة تتجدد من خلالهـا ومن هذه الميادين: ميدان الصلوات المفروضة، وميدان فريضة الحـج، وسـنة العمرة، وميدان صيام رمضان، وميدان تلاوة القرآن والاسـتماع إليـه، ويعـد الميدان الأخير من أوسع الميادين، فليس لقـراءة القـرآن وقـت محـدد في غـير الصلوات الجهرية المكتوبة، أو المسنونة، أو قدر محدد، فأي وقت مـن ليـل أو نهار هو وقت تلاوة واستماع، ثم إن أي قدر من القـرآن هـو مجـز في الـتلاوة والاستماع، والله تعالى يسر القرآن للذكر بنص قولـه سـبحانه: ﴿$RŽee, ß)9r﴾ ﴿9ÏŠB `Ï @gù ìöè#9 bæöÿ8﴾[1]، ومن مظاهر هذا التيسـير: أنـه لا توجـد قيود تحول بين المسلم وبين الاتصال بالقرآن تـلاوة، أو اسـتماعاً، أو دراسـة، ومدارسة سوى قيـد الحـدث الأكـبر الـذي يـزول بالطهـارة، فلتهنـأ الأمـة الإسلامية، ولتسعد بكتاب ربها وهي تتجدد به، ومعه، وهي تتلوه، وتستمع إليه في هذا الشهر الكريم على وجه الخصوص، وفي شهور حياتها كلها بصفة عامة.

قال العلامـة أبـو الحسـن النـدوي رحمـه الله: «وجعـل الله الصـوم في رمضان فجعل أحدهما مقرونـاً بـالآخر مرتبطـاً بـه فـذلك قِـران السـعدين والتقاء السـعادتين في حكمـة التشـريع، وذلـك لأن رمضـان قـد أنـزل فيـه

---

(١) سورة القمر (١٧).

القرآن، فكان مطلع الصبح الصادق في ليـل الإنسـانية الغاسـق، فحَسُـنَ أن يقرن هذا الشهر بالصوم، كما يقترن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يـوم، وكان أحق شهور الله بما خصه الله من يمن وسعادة وبركة ورحمـة، وبـما بينـه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية بأن يصام نهاره، ويقام ليله »[(١)].

(١) الأركان الأربعة (١٨٩).

المبحث السابع عشر: فوائد الصيام

وفوائد الصيام تتعدد بتعدد ميادينها وهي: ميـادين دينيـة، واجتماعيـة، واقتصادية، وتربوية، وأخلاقية، ونفسية، وصحية، وشخصية، وعسكرية إلى آخر تلك الميادين التي لا تقـع تحـت حصرـ، والفوائـد منهـا مـا هـو مـدرك محسوس وهو ما تعلق بالظاهر المحسوس، ومنها مـا لـيس كـذلك وهـو مـا تعلق بعالم الباطن الخفي وهو عالم واسع الأرجاء متعدد الأنحاء، وحسبنا مـا سنذكره من بعض تلك الفوائد في بعض الميادين.

١ - الفوائد العقدية: وهـي أن يصـوم المسـلم لوجـه الله أي أن يقصـد الصـائم بصـيامه الاسـتجابة لأمـر الله تعـالى في قولـه تعـالى: ﴿ûïÏ%©!$#gƒ'»ƒ

Nä3ª9$#Nà6 ÎŽö `ÏB šúïÏ%©!$#?ã =Ïäs)J. ÆìsÛÃ%9$#Nà6 øŒÎ =Ïäs)qãZB#ä

?bqà)G﴾[1]، ولذلك فإن «من صام لأجل الصحة فقط فهـو غـير عابـد لله في صيامه، فإذا نوى الصحة مع التعبد كان مثاباً كمن ينوي التجـارة مـع الحـج فإنه لولا العبادة لاكتفى بالجوع والحمية وآية الصـيام بهـذه النيـة والملاحظـة التحلي بتقوى الله تعالى وما يتبعها من أحاسـن الصـفات والخـلال وفضـائل الأعمال»[2]، ولا شك «في أن من يصوم على هذا الوجه يكون راضياً مرضـياً

---

(١) سورة البقرة (١٨٣).

(٢) تفسير المنار (١٤٨/٢).

مطمئناً بحيث لا يجد في نفسه اضطراباً ولا انزعاجاً، نعم ربما يوجد عنده شيء من الفتور الجسماني أما الروحاني فلا»[(١)].

ولا شك أن الصيام لله تعالى يعكس موقف العقيدة في الله، فالصيام سر بين الصائم وربه، فهو يترك شهواته وملذاته من أجل مرضاة ربه سبحانه، ولا واسطة في هذا الصوم بين الصائم وبين ربه، ولذلك كان الجزاء من الله عظيماً للصائمين.

٢- الفوائد التعبدية: تتجلى الفوائد التعبدية للصيام في أنه طاعة لله تعالى، وإقبال عليه بكثرة العبادة، والإكثار من القربات، والطاعات، ومن شأن ذلك أن يزيد في إيمان الصائم، فالإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وفي شهر الصيام صلاة التراويح، والتهجد، والمسلم يصلي صلاة التراويح طوال هذا الشهر، ويصلي صلاة التهجد في العشر الأواخر منه، وذلك من شأنه أن يجعل المسلم يتعود على صلاة الليل والتهجد فيه بعد رمضان لأنه قد ذاق حلاوة هذه الصلاة، ووجد في نفسه آثارها الإيجابية.

٣- الفوائد الاجتماعية: والإنسان مدني بفطرته، يؤثر ويتأثر، وهو يرى الأثر الاجتماعي للصوم، من صلة رحم، وزيارة للأصدقاء، وعطف على الفقراء، والمسلمون يحبون شهر الصيام لأنهم يحسون بأثره الاجتماعي الطيب عليهم، والمجتمع المسلم مرتبط بصيام رمضان ارتباطاً وثيقاً، حيث تتأثر أجزاء المجتمع كلها بمظاهر الصيام الطيبة، وتختفي كثير من المظاهر

---

(١) تفسير المنار (٢/١٤٨).

غير المرغوبة من المجتمع في شهر الصيام، ويسود فيه جو الرحمة، والرفق والإحسان، والإحساس بأخوة الإسلام، فالمسلمون يكثرون فيه من الصدقة، وكثير منهم يوقتونه موعداً لإخراج زكاة أموالهم، وتراهم يتعاطفون ويتسابقون في البذل والإحسان، ويهرعون إلى المساجد في أوقات الصلوات المفروضة، وبعد الإفطار يستعدون لصلاة التراويح بعد أداء صلاة العشاء.

ومن فوائد الصيام الاجتماعية حصول المساواة فيه بين الأغنياء والفقراء والملوك والسوقة حيث يفطرون في وقت واحد ويمسكون في وقت واحد في البلد الواحد، ومشاعر الجميع واحدة في هذين الوقتين، وهو أمر يربي الأمة على الوحدة والتساوي في المشاعر والأحاسيس، وعلى تقدير أهمية الوقت وأثره في الحياة، فالمجتمع المسلم تحصل له فوائد اجتماعية كثيرة بشهر الصيام ويجد أثرها في حاضر حياته، وفي مستقبلها.

٤ - الفوائد الاقتصادية: وشهر الصوم هو شهر النظام، وترتيب الأولويات خاصة في الجانب الاقتصادي، فهو يعين المسلم على تنظيم مصروفاته، والمسلم يمكنه الاستفادة من ذلك إذا رغب، والبيت المسلم يمكنه وضع ميزانية متوسطة لشهر رمضان بعد مناقشتها من أفراد البيت والاتفاق عليها، لتكون موضع قناعة الجميع، وموضع التنفيذ بدون اعتراض عليها أو تبرم بها، بحيث لا يتأثر أفراد هذا البيت بما عليه غيرهم من الإسراف الذي يدل على عدم الوعي بأهداف الصوم ومقاصده.

٥ - الفوائد الأخلاقية: ولا شك أن مجيء شهر رمضان كل سنة وصيام المسلم له كل سنة منذ بلوغه سنة التكليف بذلك، سيكسبه أخلاقاً كريمة يتعود عليها، ويتعاطاها، مثل: البذل، والرحمة، والرفق، والإحسان، والشعور بمعاناة الآخرين، ومن خلال إحساسه بالحرمان من مشتهياته التي تعودها في أيام العام يحس بمعاناة إخوانه المسلمين الجياع، ومثل هذه الأخلاق تعد قيماً تربوية عالية، وهي إذا شاعت، وعمت في المجتمع المسلم فإنه سيجني من ورائها خيراً كثيراً يعود عليه في حاضره، وفي مستقبله.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الناشيء المسلم الذي ينشأ في مجتمعه، ويرى هذه المعاني الجميلة سائدة في المجتمع في شهر رمضان فإنه ينشأ وهو يحمل في أعماقه ذكريات جميلة لهذا الشهر المبارك، فإذا بلغ مبلغ التكليف بالصيام، فإنه يستقبل هذا التكليف براحة، وإقبال، وحب، وهو يتطلع إلى أن يقوم بما قام به آباؤه وأهله من البذل، والرفق، والإحسان، وهكذا تتجدد، وتتعدد الفوائد الأخلاقية وسواها للصيام.

٦ - الفوائد النفسية: أما الفوائد النفسية للصيام، فهي مما يحس به الصائم ويجد أثره ينعكس على نفسه، وشخصه، فالنفس تسكن بالصيام، وتهدأ لأن الصيام جُنَّة أي وقاية من الشيطان كما جاء في الحديث الصحيح[(١)].

وفي الصيام تهذيب للنفس، وقهر للشيطان بتضييق مجاري قوته من الطعام، والشراب والشهوات، فهو بذلك واحة النفوس المسلمة تفيء إليها

---

(١) تقدم تخريج الحديث صفحة (٧٢).

بعد رحلة أحد عشر شهراً في صحراء المشاكل الحياتية، التي لا نهاية لها، والتي لو استمر معها المسلم طوال العام لكان لها تأثيرها السيئ على نفسه، وعلى شخصيته، فجاء الصيام ليشكل في حياته محطة يستريح فيها، ويتخلص فيها كذلك من أوضار المادة، ومن رواسبها الكثيرة، ويترقى في مدارج الروحانية الجميلة، فيضفي ذلك عليه راحة النفس، وصفاءها، وفراغ الخاطر، وإشراق الروح، والتجرد من الشهوات، والتحرر من رتابة الحياة، وعلائقها ومن قيد الشهوات، وفضولها، وذلك أن الإنسان لو ترك طول العام منهمكاً في الشهوات لانحط إلى أسفل سافلين، والتحق بالبهائم[(١)]، فكان من رحمة الله تعالى فرض الصيام على عبادة المؤمنين بحيث لم يخل من فرضه دين سماوي قبل الإسلام، ولكن الصوم في الإسلام يختلف عما كان في الأديان قبله، فللإسلام دوره الإصلاحي في تشريع الصوم، وهو الدور الذي قام به الإسلام في جميع العبادات والفرائض، والمناسك وكان إصلاحاً جذرياً في مفهوم الصوم وآدابه وأحكامه ووضعه وجعله أعظم يسراً وسهولة، وقرباً إلى الفطرة السليمة، وأضمنه بالفوائد الروحية، والاجتماعية والأخلاقية والنفسية وسواها من الفوائد، وأعمق تأثيراً في النفس والمجتمع[(٢)].

قال العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله: «ومن عرف أوضاع الصوم ومناهجه في الأمم القديمة والديانات المعاصرة ودرس تاريخها وفلسفتها

---

(١) يُنظر: الإحياء (٢٧٩).

(٢) يُنظر: الأركان الأربعة (١٨٨).

وشاهد أحوال الصائمين فيها -على قلتهم وتشتت أحـوالهم- وقـارن ذلـك بالصوم الإسلامي ووضعه ومنهجه، فقهـه وآدابـه وأكرمـه الله بالـدخول في هذه الأمة المسلمة والعمل بالشريعة الإسلامية السمحة نطق لسـانه بالحمـد والثنـاء والشـكر عـلى نعمـة الإسـلام، وكـان حقيقـاً بـأن يقـول وهـو صـــــائم: ﴿ Ìh&wöÞ “ Ï‰FÖÞ$Zä$Br#‹»gÏ$Z1‰d “ Ï‰Ö$-ÌÞ‰ÒÎtø$#qè%r ﴾ Ètø$Zî ÐÚrâÙä!` Þ)9 a! $$Z1‰d ﴿(١)﴾.

٧- الفوائد الشخصية: والشخصية المسلمة هي الشخصية المعـبرة عـن قوة نفس صاحبها، لأن مـن ملـك زمـام نفسـه، قويـت شخصـيته، ويجـيء الصوم ليصب في هذا الإتجاه، فالصوم تعبير عن الإرادة القويـة، فـالله تعـالى فرضه على المسلمين، ليقوي من إرادتهم، ويشد مـن عـزيمتهم، ويرفـع مـن همتهم، ولم يمنعهم في يوم صومهم من الطعـام والشرـاب ليعـذبهم، ولكـن ليهذبهم ويطهرهم، فإذا تمرنوا على تـرك مـا هـو ضروري لوجـودهم سـهل عليهم ترك الشهوات والمعاصي وهي ليست مـن ضروريـات وجـودهم بـل إنها بالعكس جناية على حياتهم، وخطر على وجودهم.

وإذا كان المسـلم الصـائم قـد صـبر عـلى هجـر الطعـام لمجـرد العـزم والتصميم على الصيام فهو بهـذه الإرادة نفسـها يكـون أشـد اصـطباراً عـلى مقاطعة القبيح، ومجانبة الحرام.

والشخصية المسلمة في صيامها شخصـية رقيقـة، متسـامحة، متواضـعة

---

(١) سورة الأعراف (٥٣) ويُنظر: الأركان الأربعة (٢٠٦).

تهذبت بالصيام، ورقت حواشيها، واستقامت على طريـق الانكسـار لعظمـة الله، والتواضع والذل لكبريائه، فالصوم تهذيب، وتأديب، وتربيـة، وتطهـير وتزكية، والمسلم يستفيد من الصيام عبراً، ودروساً كثيرة تعود بالفائـدة عـلى نفسه وعلى شخصيته، فهو يعرف أن الإنسان كثـير الطغيـان، وسريعـه، وأن طغيانه أشكال وألوان، فألزمه الله سبحانه الصوم حتى إذا جاع وظمئ ذلـت نفسه وانصدع كبره وفخـره، وأحـس أنـه -مهـما أدى- فهـو عبـد مسـكين ضعيف، تقعده اللقمة إذا فقدت، وتضعفه جرعـة المـاء إذا منعـت، هنالـك يطامن من غروره ويعترف بفضل الله تعالى عليه حتى في كسرة الخبز، ورشفة الماء، ولعل الصائم يفكر في حاله قبيل الغروب ليعرف هذه المعـاني، فهـو في ذلك الوقت قد ينسى كل أو بعـض الأشـياء الأثـيرة لديـه، ولكنـه لا يغفـل بحال عن كأس الماء خاصة في البلاد الحارة، ولا عن الرطب، أو التمر الـذي أمامه والذي يشكل في تلك اللحظات محوراً أساساً أو مهماً من تفكيره. وبعد تناول إفطاره يتغير محور اهتمامه وتفكيره وذلك دليل عـلى ضـعف الإنسـان فكفى بذلك دليلاً على هذا الضعف لمن أراد أن يتدبر، ولمن كان لـه قلـب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومن شأن هذه المعاني أن تجعل المسلم يتعـرف إلى ربـه حتـى إذا عرفـه خافه، ومتى خافه استقام على الطريقة، وسار على الجادة، وترك ما كـان فيـه من بغي، وتطاول، واستكبار، وعلو في الأرض بغير الحق، وآثـر مرضـاة الله على رضا نفسه، وغرورها، وصار صورة حية لما يعكسـه الصـوم مـن معـاني

الرحمة والإحسان، وتحولت شخصيته إلى شخصية ودودة، حانية، تحب الآخرين، وترحم الضعفاء والمساكين، فيجدون في كنفها الرحمة، والألفة، والمودة، والرفق بهم وذلك كله وسواه من فوائد الصوم التي تنعكس على شخصية الصائم.

٨- **الفوائد الجهادية**: وإذا كان صوم رمضان جهاداً صامتاً، يعلن فيه المسلم الحرب على الشيطان وعلى النفس، وهواها بلا هوادة، فإن رمضان كان لدى أسلافنا الأماجد شهر الجهاد ضد الكفر، والظلم والطغيان، ففي شهر الصوم شهر رمضان وقعت أكبر حوادث الإسلام الفاصلة مع أعداء الدين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(غزونا مع رسول الله ﷺ في رمضان غزوتين: يوم بدر، والفتح، فأفطرنا فيهما)**[(١)]، ففي شهر رمضان وقعت غزوة بدر الكبرى التي كانت بدراً مزق ظلام الكفر الحالك ونوَّر حياة المسلمين، وأضاء طريقهم، فاندفعوا ينشرون دين الله، ويخرجون البشرية من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد لله عز وجل، والإيمان به، وعبادته. وكانت بدر فرقاناً فرَّق الله تعالى به بين الحق والباطل. وكان فتح مكة كذلك في رمضان وهو الفتح الذي أذن الله تعالى فيه بسيادة الإسلام وعلو مجده في جزيرة العرب واندحار الكفر إلى غير رجعة، وحدثت في رمضان معارك أخرى حاسمة مثل موقعة عين جالوت التي مُزِّقَتْ فيها رايات التتار والمغول، وقضت على أطماعهما، وخلصت بإذن الله تعالى

(١) جامع الترمذي (٧١٤) ومسند أحمد (١/ ٢٢) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث قوي.

المسلمين من عدو ظالم شرس، ومن شره المستطير، وقد كان الصـوم الحـادي الأمين للأمة الإسلامية عبر تاريخها في مواجهة أعدائها، فهو مدرسـة لجهـاد النفس، والشيطان، ولانتصار الإرادة على الشـهوات، وهـذه المدرسـة تهـيء المسلمين للانتصار على العدو في ساحات الوغى.

٩ - الفوائد التربوية: ومن فوائد الصـوم أنـه يُعَـوِّدُ الأمـة عـلى تحقيـق المسـاواة، لتكـون واقعـاً ملموسـاً في حياتهـا بحيـث تتوحـد المشـاعر، والأحاسيس بالرباط الأخوي الخالد بين المؤمنين، وتتشارك الأمة في السرـاء والضراء، ومن شأن ذلك أن يجعل الأمة ترتفع إلى مستوى ما يراد بها، ومنهـا من وراء فرض الصيام عليها، فالعزة والكرامة أساسـهما التضـحية والإيثـار والرحمة والمحبة، وغلبة الحق. وانتصاره على الباطـل مرهـون بـالتزام طاعـة الله، والتزام حدوده، والبعد عن نواهيه، والوفـاء بحـق الله تعـالى في الصـوم صوماً يرضيه، ويرضى به عن أهله.

ولعل من نافلة القول أن مما يُهْدَفُ إليه مـن وراء الحـديث عـن فوائـد الصيام أن يفيق النائمون، ويـدرك المقصرـون مـدى الخطـر الأعظـم الـذي يصيبهم بسبب التهـاون في أداء الصـيام الـذي تنطلـق منـه، أو تتجسـد فيـه أهداف الإسلام وغاياتـه الكـبرى لترسـيخ دعـائم الحـق والمحبـة، والخـير، والتسـامح، والجهـاد، والتضـحية، وإقامـة صرح الإيـمان الـذي هـو مجمـع الفضائل وقوام الضمائر، وعماد الحياة السوية، وتبديد معالم الشرك الذي هـو وكر الاضطرابات والفـوضى، ومنشـأ الإنحـراف، وسـبب الحـيرة واليـأس

والقلق والشقاء.

إن الذين يضيقون بالصيام، فيقصرون فيه، إنما يضيقون بالإسلام لأن الصيام أحد أركان الإسلام التي بني عليها، والبناء لا يقوم إلا على أركانه كلها، فليس الإسلام بأركانه ومنها الصوم غِلاً أو قيداً في أعناق أتباعه، ولكنه رحمة الله تعالى للعالمين.

١٠ - الفوائد الصحية: قال العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله: «ومن فوائده الصحية أنه يفني المواد الراسبة في البدن ولا سيما أبدان المترفين أولي النهم وقليلي العمل، ويجفف الرطوبات الضارة، ويطهر الأمعاء من فساد الذرب والسموم التي تحدثها البطنة، ويذيب الشحم، أو يحول دون كثرته في الجوف وهي شديدة الخطر على القلب، فهو كتضمير الخيل الذي يزيدها قوة على الكر والفر... وقال بعض أطباء الإفرنج: إن صيام شهر واحد في السنة يذهب بالفضلات الميتة في البدن مدة سنة»[(١)].

لقد سخر الله تعالى النبات والحيوان كطعام للإنسان يمده بالعناصر اللازمة، لاستمرار حياته فوق الأرض، تحكمه السنن الإلهية في التوازن والتي تضبط حركة الكون كله، على أن ثمة لطيفة ربانية بين مركبات الجسم الأرضية، وبين الغذاء والروح، فمن تحكم في غذائه وشهواته سمت روحه، وأشرق وجدانه، وارتفعت درجة استجابته لأوامر ربه، وتوقى العلل والأمراض التي يمكن أن تصيب الإنسان من كثرة الأكل ودوامه على مدار

---

(١) تفسير المنار (٢/١٤٨).

العام، والإنسان خلق الله، خلقه وفق نظـام محكـم بـديع لا يـدرك سره، ولا يعرف دقائق سنن خلقه إلا الله وحده، فهو سبحانه العليم بما يصلح بـه هـذا المخلوق، وبما يفسد به، ومن أجل صلاح هـذا الإنسـان في جانبيـه الروحـي والمادي فرض الله تعالى الصيام عـلى سـائر الأمـم لا لكونـه أمـراً تعبـدياً لـه سبحانه فحسب، ولكن إضـافة إلى ذلـك لفوائـده المحققـة لجسـم الإنسـان وروحه، وقد تناول الأطباء المسلمون وغـيرهم في القـديم والحـديث فوائـد الصيام الصحية «فوصف الطبيب المسلم (ابـن سـينا) الصـوم لمعالجـة جميـع الأمراض المزمنة، ووصف الأطباء المسـلمون في القـرنين العـاشر والحـادي عشر الميلادي صـوم ثلاثـة أسـابيع للشـفاء مـن الجـدري، ومـرض الـداء الإفرنجي (السيفلس) وخلال احتلال نابليون لمصر جرى تطبيق الصـوم في المستشفيات للمعالجة من الأمـراض التناسـلية»[(١)]، «وقـد وجـد أن الصـوم يعين على معالجة داء الصرع والقرحة، والسرطانات الدموية، والسـاد الـذي يصيب العينين، وأورام اللثة، ونزيفها والقرحة الجِفِّية، وذكـر أن الأطبـاء في روسـيا توصـلوا إلى نتيجـة مماثلـة في القـرنين الثـامن عشر ـ والتاسـع عشر ـ الميلاديين، فلقد تقدم الدكتور (بيترفينيامينوف) من جامعـة موسـكو بتقريـر نشر ١٧٦٩م نصح فيه المرضى بالتوقف الكلي عن الطعام أثناء فـترة المـرض معللاً ذلك بقوله: إن الصوم يعطي المعدة فترة راحة تمكن المريض من الهضم

(١) الصوم معجزة علمية للدكتور عبدالجواد الصاوي (٢٢).

بشكل مناسب عندما يتعافى ويعود إلى الأكل ثانية»[١].

ومما تنبغي الإشارة إليه والتأكيد عليه في هذا المقام أن ثمة فرقاً واسعاً بين الصيام الطبي (التجويع) والصيام الذي فرضه رب العالمين سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين في الأديان السماوية كلها، فالصوم المفروض من رب العالمين عز وجل صوم له خصائصه، وكيفيته، ومقاصده، وأهدافه، وفضائله والتي جاءت عامة في القرآن الكريم، ومفصلة في السنة النبوية، والصوم في الإسلام قائم على التيسير ورفع المشقة، فهو سهل ميسور يستطيعه المكلفون الأصحاء في جميع الأزمنة والأمكنة، ولا يمثل أي خطورة على الصحة، أو على أبدان الصائمين. والمسلمون يقبلون على الصيام عبادة خالصة لله تعالى، فهم يدعون طعامهم وشرابهم وشهوتهم لله سبحانه، وهم في غاية السرور بذلك، وهذا بخلاف الصوم الطبي الذي لا يقبل عليه إلا من هدد حياته المرض، وهو بذلك غير متيسر لكل الناس، وفيه قهر شديد للنفس، وعنت ومشقة للجسم، والصوم في الإسلام أيامه معدودة لا تتجاوز الثلاثين يوماً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لكل المسلمين المكلفين به، أما الصوم الطبي فهو يختلف طولاً وقصراً باختلاف حال كل مريض وظروفه.

وليس في الإسلام شيء اسمه التجويع وهو الشعار المرفوع في أوربا

---

(١) نفس المصدر (٢٤).

وأمريكا لصحة أمثل، ومن أجله أنشئت آلاف المصحات الخاصة به والتي يفد إليها الآلاف المؤلفة من المتخمين من جميع أقطار العالم، يدفعون أموالاً غير قليلة في مقابل إقامة تطول أو تقصر في تلك المصحات يُحْرَمون فيها بالتجويع من كل شيء إلا كوباً في الصباح وكوباً في المساء من شوربة مُرَّةِ المذاق، مع القيام ببعض التمرينات الرياضية التي يقرها الطبيب مناسبة لكل إنسان وفق حالته الصحية.

إننا في الإسلام لا نحتاج إلى هذه المصحات، ونحن في غنى عن ذلك التجويع أعني (التعذيب) لأن الإسلام علَّمنا التوسط والاعتدال في الأمور كلها ومنها أمور الأكل والشرب، قال تعالى: ﴿ qèd ÏmŠÏù ÏNºtyJ¯R ﴾ [1]، وهذه الآية الكريمة قاعدة ذهبية في حفظ الصحة، وطب الأبدان كله موجود فيها. يضاف إليها قاعدة ذهبية أخرى بيَّنها المربي الأعظم ﷺ في قوله: **(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)** [2].

---

(١) سورة الأعراف (٣١).

(٢) جامع الترمذي (٢٣٨٠) وهو حديث صحيح وأخرجه ابن ماجة في سننه (٣٣٤٩).

المبحث الثامن عشر: من مقاصد الصيام

فمن مقاصد الصيام:

١ - معالجة الحرمان بالفعل لتربية عاطفة الرحمة والإحسان في الإنسان، ويدل على ذلك ما رُوي في الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً، فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له)**[(١)] الحديث، فهذا الحديث يرشد إلى أن الحرمان في بعض جوانبه قد يولد العطف، والعطف يبعث على الإحسان، فما شعر بما يجده المحروم من ألم نفسي- وبدني إلا من حُرِمَ مثله من لذاته ومشتهياته، وإذ ذاك ترق عاطفته، ويسخو بما لم يكن يسخو به من قبل هذا التمرين.

إنه قد يكتب الكُتَّاب، ويعظ الواعظون، في الحض على المواساة، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، ولكنهم لن يبلغوا من النفس البشرية ما يبلغ منها صيام يوم واحد، وتجويعها على النحو الذي أمر به الشارع في شهر رمضان، وقد ذكرنا قصة ذلك الرجل الذي قاسى ألم العطش بعد أن اشتد عليه والذي سقى كلباً رآه يعاني من شدة العطش، فشكر الله له صنيعه وغفر

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٠٩) وصحيح مسلم (٢٢٤٤) واللفظ للبخاري.

له مما جاء خبره على لسان المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح، فلو لم يؤخذ هذا الرجل بتجربة العطش الشديد الذي حمله على سقي ذلك الكلب لما رق قلبه له، ولو رآه مندلعَ اللسان من العطش، فكذلك الذي عانى الصيام شهراً في كل عام إذا رأى جائعاً أو عطشان أو محروماً من ضرورية من ضروريات العيش على العموم فإنه سوف يساعده على دفع حرمانه، وذلك يدلنا على أن من مقاصد الصيام:

٢- ترويض النفس على القليل من مألوفاتها من الشهوات في المطعم، والمشرب فتكثير الشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم، فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم عليها، وما داموا يترددون لم تنكشف للعبد آفاق السمو القلبي في مدارج العبودية لله تعالى، وكان محجوباً عن خير كثير، قال ﷺ: **(لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات)**[(١)].

٣- والصوم يربي المسلم على الصبر فهو مدرسة الصبر، والصبر نصف الإيمان، والإنسان إذا غلب صبرُه باعثَ الهوى والشهوة التحق بالملائكة، وإن غلب باعثُ الهوى والشهوة صبرَه التحق بالشياطين، وإن غلب باعثُ طبعه من الأكل والشرب والجماع صبرَه التحق بالبهائم، وقد خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بلا شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة، فمن غلب عقلُه شهوتَه فهو مع

(١) مسند أحمد (٢/٣٥٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٧/٣٣٥).

الملائكة، ومن غلبت شهوتُه عقلَه فهو كالبهائم[١]، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب.

٤ - ومن مقاصد الصيام: تربية النفس بحبسها عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية لتتهيأ بذلك لطلب ما تسعد به في عاجلها وآجلها وتكون محلاً قابلاً للتزكية التي يحدثها الصيام في النفوس التي تهيأت لهذه التزكية، ولا يحصل لها ذلك إلا بحبسها عن شهواتها، وفطامها عن مألوفاتها بالصيام فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمتقين، وهو ذو أثر فعال وعجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحمايتها من التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة من صحتها، فالصوم يحفظ على النفس، والقلب، والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات[٢].

---

(١) يُنظر: إحياء علوم الدين (٢٧٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٢٧٩) ويُنظر: زاد المعاد (١/ ١٥٤، ١٧٠).

المبحث التاسع عشر
الصيام من عوامل التجدد والانبعاث للأمة

إن أمة محمد ﷺ تملك من عوامل التجدد والانبعاث في دينها ما يجعلها متجددة مع مرور الليالي والأيام، وهذه العوامل لا تستورد من أحد، إنها عوامل قائمة، وموجودة في دين الإسلام العظيم الذي أكرم الله به هذه الأمة لتكون الأمة التي يخرج الله تعالى بها الناس من ظلمات الشرك، إلى أنوار التوحيد والإيمان به تعالى، والتصديق بما جاء به خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ، وهذه العوامل كثيرة، ويكفي أن نشير إلى شيء منها، مثل الصلوات الخمس، والجمعة، وتلاوة القرآن، وتدبره، والحج، والعمرة، والحرمين الشريفين.

فالمسلم يتجدد في اليوم والليلة خمس مرات بإقامة الصلوات الخمس المفروضة، وهذا التجدد يشمل جوانب حياته كلها الظاهرة والباطنة، والعاجلة، والآجلة، وكذلك هو يتجدد بالعيد الأسبوعي يوم الجمعة، وحضور صلاة الجمعة، والاستماع إلى الخطبتين، وهو يتجدد بتلاوة آيات كتاب ربه في أجزاء الليل والنهار، وما يحدثه الله تعالى بالقرآن في الأمة على مستوى الفرد، والمجتمع، وعلى كافة مستوياتها أمر لا يحيط به إلا الله تعالى.

وفي الحج معالم كثيرة لتجدد الأمة لا يحيط بها إلا العليم بمقاصد الحج وأسراره سبحانه وتعالى، وفي كل عام يظهر شيء للأمة من هذه المقاصد والأسرار، يدركه أولوا البصيرة والعلم فيها.

والأمر كذلك في سنة العمرة، أما الحرمان الشريفان فقد جعلهما الله تعالى مكانين آمنين تهوي إليهما أفئدة المؤمنين للصلاة في الحرم النبوي، والاعتكاف في رمضان، والطواف بالبيت الحرام، والصلاة في المسجد الحرام والاعتكاف فيه، وأداء سنة العمرة، فكم من مسلم تجدد في إيمانه، بزيارته للحرمين. والبيت الحرام في مكة -شرفها الله، وأعزها- جعله الله تعالى قياماً للناس.

وفي تفسير كلمة ﴿$VJ»Šï﴾ الواردة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿* _ è@$! ª$3èp6$7ŽM$ s •#P ï%Š»VJ$ Z=ï$ Ä﴾[(١)] الآية، من المعاني، والدلالات، والإيماءات ما يحتاج إلى بيان مستفيض في غير هذا الموضع، فموضوعنا يدور الحديث فيه عن الصيام في آفاقه المتعددة، ولعل هذه التوطئة تؤذن بالحديث عن عامل من عوامل التجدد والانبعاث في الأمة وهو الصيام، فالأمة الإسلامية تتجدد بصيام رمضان في روحها، وعقلها، وفي مداركها كلها، وفي شتى جوانب حياتها المادية، والمعنوية، فلصيام رمضان أسرار، وفوائد، وآثار، ومقاصد لا يحيط بها إلا الله تعالى، وهو عبادة خفية، لا يطلع عليها إلا الله سبحانه، فكيف لنا بإدراك أسرار الخفي عنا، والحال أننا في كثير من الأحوال لا ندرك بعض أسرار ما ظهر لنا من العبادات.

صوم رمضان علاج، ودواء، وشفاء لأمراضنا الجسمية، والنفسية، وأمراضنا الجسمية قليلة بالنسبة إلى أمراضنا النفسية، وعالم النفس أوسع

---

(١) المائدة (٩٧).

وأرحب من عالم الجسم، فعالم النفس عالم خفي عجيب غريب يدل على علم، وحكمة خالقها، قال تعالى: ﴿brçŠ tex ù& tbÁ ãR& bîr﴾ [١] فصيام رمضان علاج، ودواء وشفاء لأمراضنا الخفية بكل أنواعها، وأشكالها وأحوالها، وتعددها، ومتعلقاتها، ولعلنا نستشف من قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه: **(إن الله عز وجل يقول: إن الصوم لي وأنا أجزي به، إن للصائم فرحتين: إذا أفطر فرح، وإذا لقي الله فرح، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)** [٢] بعض تلك المعاني، فالظاهر الذي عندنا هو أن ريح فم الصائم من خلو معدته قد تكون كريهة، ولكن الخفي عنا أنها عند الله تعالى أطيب من ريح المسك، فأين نحن من هذا الخفي، ولعل ذلك يدفعنا إلى التأمل في صومنا، وهل وصلنا به إلى أن تكون رائحة أفواهنا في يوم صومنا أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، أم أن الأمر فقط يتعلق بالظاهر لأن صومنا لم يتعد هذا القدر الظاهر، قال العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله: «اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص، أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل، وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار

---

(١) سورة الذاريات (٢١).
(٢) صحيح مسلم (١١٥١).

الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية»[١].

ولعلك أخي المسلم الصائم أدركت معي أن الصوم بمثابة دورة استشفائية، وعلاجية لأمراضنا الظاهرة، والباطنة، فنحن محتاجون إلى هذه الدورة كل سنة لنخرج منها وقد سَرَتْ العافية، ومعها الشفاء في نفوسنا، وأجسامنا وفي سائر أحوالنا الظاهرة والباطنة، ونحس بالتجدد والانبعاث، فنكون بذلك قادرين على القيام بمهامنا الدينية، والدنيوية على الوجه الصحيح. وعلى ذلك فإن فريضة الصيام رحمة من الله لعباده المؤمنين. إنهم يقبلون عليها، إقبال عبودية وامتثال، ويستقبلونها استقبال فرح، واستبشار.

والإنسان المؤمن يجاهد عدوين غير ظاهرين للعيان، ولكن آثارهما ظاهرة وهما: الشيطان اللعين، والنفس الأمارة بالسوء، وهما يتقويان بالغذاء، وشهوات الأكل والشرب، ولذلك جاء التوجيه النبوي الكريم من المربي الأعظم ﷺ ببيان مجاري الشيطان من الإنسان فقال ﷺ في الحديث الصحيح: **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)**[٢].

ولا شك أن في تقليل الغذاء، وفي الصيام تضييقاً لمجرى الشيطان من الإنسان، والله تعالى يقول: ﴿ $B ‡rçÉõàÁ9$# Ëx‹Ï)ø9$# $B ÞÉõàÿø9$# ©!$# ÏM≈c ﴾

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٧٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٩) وصحيح مسلم (٢١٧٥) واللفظ للبخاري.

﴿ ﴾ [١] أي تغيير ما ألفتـه مـن التوسـع في المشـتهيات المباحـة وذلـك بتضييق دائرة هذه المشتهيات، من المطعومـات والمشرـوبات حتـى تـذوق ألم الجوع، فإذا أحست بألمه رقَّتْ، وتهذَّبَتْ، ورحمتْ، فتكـون بـذلك أقـرب إلى فعل الخيرات، وتلقي الرحمات من الله تعالى، قال الغزالي رحمه الله: «ومعلـوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقـوى... فـروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لـو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كـان يأكـل لـيلاً فلـم ينتفـع بصومه» [٢].

---

(١) سورة الرعد (١١).

(٢) إحياء علوم الدين (٢٧٨-٢٧٩).

المبحث العشرون: فضائل العشر الأواخر

ومن فضائل الصيام وجود العشر الأواخر في شهر الصيام، وتقع العشر الأواخر من أيام شهر رمضان موقع الرأس من الجسد، فأيام هذه العشر أيام شريفة، منيفة، كريمة لها شأنها، وشرفها، ومكانتها عند الله تعالى، وعند رسوله ﷺ، وعند الملائكة الكرام عليهم السلام، وعند المؤمنين، ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ كان يخص هذه العشر بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، روى مسلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: **(كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره)**[(١)]، وفي صحيح البخاري عنها رضي الله عنها قالت: **(كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيى ليله، وأيقظ أهله)**[(٢)].

لقد جعل الله تعالى العشر الأواخر من رمضان فرصة لمن ضيع في العشرين قبلها، فخص تلك العشر من الفضل ما لم يخص بها العشرين قبلها، فلها فضائل عظيمة وخصائص كثيرة.

إن لله تعالى في أيام الدهر مواسم نفحات، وعطايا، وهبات، وأفضال، ومكرمات لا ينبغي للمسلم النابه أن يغفل، أو يتغافل عنها، بل ينبغي عليه أن يتعرض لها، فهي مواسم خير وعطاء، وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته يُتقرب بها إليه، ولله فيه

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٤٠).
(٢) سبق تخريجه صفحة (٤٠).

لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم هذه المواسم، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، ومكرمة من تلك المكرمات، وعطية من تلك العطيات، وهبة من تلك الهبات، وقد خرَّج الطبراني من حديث محمد بن مسلمة مرفوعاً: **(إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً)** [(١)].

فيا من أدركته هذه العشر الأواخر من رمضان شَمِّرْ عن ساعد العمل، واجتهد في العمل مقتدياً بنبيك ﷺ، وسل الله التوفيق، وإياك أن تعجب بعبادتك وطاعتك، أو تدِل بعبادتك وعملك على ربك، فقد قال بعض العابدين: ذنب أفتقر به إليه أحب إليَّ من طاعة أدِل بها عليه، وأنين المذنبين أحب إليه من زجل المسبحين الذين يدِلُّون بتسبيحهم عليه [(٢)].

ويا من أذنب في حق سيده ومولاه (وأنا مثلك) أقبل غير مدبر، وتقدم غير متردد، فهذه فرصتك في هذه العشر الأواخر التي تهتف بك وتناديك: إني إذا ذهبت فلن أعود، وأنت على من تعول في هذه الدنيا، وأهلها، وشأنها؟ هل تعول على عمرك الفاني أو على مالك ومنصبك، وقوتك وجاهك؟ كل ذلك راحل عنك، وأنت راحل عنه، وأنت والحالة هذه شمعة تحترق لتضيء للآخرين، إنك عامل من أجل غيرك فليس لك مما جمعت من حطام الدنيا

---

(١) يُنظر: المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٢٢٣) ومجمع الزوائد للهيثمي (١٠/ ٣٩٩).
(٢) لطائف المعارف (٢/ ٣٣٩).

إلا ما أكلت فأفنيت، ولبست فأبليت، وتصـدقت فأبقيت، ومـا عـدا ذلـك فليس لك، وإنما هو لغيرك، وأنت في هذه الحال لسـت سـوى جـامع لغـيرك، فلك التعب، وعليك الحساب، ولغيرك الراحة، والفائدة.

لقد عول غيرك على الدنيا وأهلها، فدفعوا الثمن غاليـاً في النهايـة، لأن كل شيء في هذه الدنيا إلى فناء وزوال، وما رفع الله من أمر هـذه الـدنيا شـيئاً إلا وضعه بمثل ما رفعه، وإذا صح ذلك وعلمتـه وأيقنـت بحصـوله فعـوِّلْ على من بيده ملكوت كل شيء، ومن هو قادر على كل شيء، الذي إذا فزعت إليه أمنت من كل شيء، والذي إذا خفته خافـك كـل شيء، والـذي يكفيـك كل شيء، إنه ربك الكريم العفو الغفور الرحيم الجواد البر العظـيم، والـذي يتضاعف جوده، وعطاؤه لمن تاب إليه، وأناب، وهـذه العشرـ الأواخـر مـن هذا الشهر الكريم تطل بنفحاتها، وخيراتها تعلن قـرب انتهـاء موسـم الخـير والعطاء، فليكن لك نصيب من هذا الخير العميم، ولا تكن مـن المحـرومين الذين حرموا أنفسهم خير ربهم وعطاءه.

إن أقصى ما يظفر به الشيطان اللعين مـن المسـلم أن يدخلـه إلى سـاحة اليأس والقنوط فيؤيسه من رحمة ربه الواسعة التـي وسـعت كـل شيء بـنص قوله سبحانه: ﴿ÓÉJôm'r MèÅr @äÑ «ãó﴾[1] قـال ابـن كثـير في تفسـيره: «وقوله تعالى: ﴿ÓÉJôm'r MèÅr @äÑ «ãó﴾ آية عظيمة الشـمول والعمـوم كقوله إخباراً عن حملة العرش ومن حوله إنهم يقولون: ﴿$Z/' MèÅr @à2

(١) سورة الأعراف (١٥٦).

«ﷺ[1]».

ألم تعلم يا أخي المذنب (وأنا مثلك) أن الله تعالى خلق مائة رحمة، أنـزل منها إلى الأرض رحمة واحدة هي التـي يتعـاطف بهـا الخلـق فـيما بيـنهم مـن الإنس، والجن، والبهائم، حتى إن بهيمـة الحيـوان الأم لترفـع حافرهـا عـن وليدها وهو واقف تحتها خشية أن تصيبه رحمة ربـه، وأخـر سـبحانه وتعـالى عنده التسع والتسعين الباقية مـن المائـة، ويـوم القيامـة[2] ينزلهـا عـلى عبـاده المؤمنين، ومن مات مسلماً لا يشرك بالله شيئاً، روى الطـبراني في الكبـير عـن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيـده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه، الأحمق في معيشته، والذي نفسي بيـده ليـدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه، والذي نفسي بيـده ليغفـرن الله يـوم القيامـة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه)**[3].

إن المسلم مطالب في العشر الأواخر المباركة من شهر الصوم المبارك أن يكون أكثر عبادة لربه، وانقطاعاً له، وذلك يستدعي منه أن يكون قد فرغ من مشاغله، فلا انشغال بشـراء، أو بـذهاب للأسـواق، أو بتلبيـة دعـوات خاصـة لطعام السحور، وعلى المسلمين الصائمين أن يقـدر بعضـهم ظـروف بعـض ويعذر بعضهم بعضاً، خاصة من جاء إلى الحـرمين في تلـك العشر- مـن غـير

---

(١) سورة غافر (٧) ويُنظر: تفسير ابن كثير (٣/٤٨١).
(٢) يُنظر: المسند (٥/٤٣٩) وصحيح مسلم (٢٧٥٣).
(٣) يُنظر: المعجم الكبير للطبراني (٣/١٦٨) ومجمع الزوائد (١٠/٢١٦).

أهلهـا مـن داخـل الـبلاد أو خارجهـا، فالنـاس مشـغولون فيهـا بالعبـادة، ولا شك أن في أيام عيد الفطر، وما بعدها سعة للزيارة، ولتلبية الدعوات.

والناس تختلف ظروفهم في أيام رمضـان وخاصـة في العشر الأواخـر منه، فمنهم من يحب أن يرتاح بعد صلاة التراويح ليسـتعد لصـلاة التهجـد، ومنهم من يرغب الجلوس في الحرم مدة أطول بعـد صـلاة الـتراويح لقـراءة القرآن، وإذا شغل الإنسان بغير العبادة فإنه يحصل عنده تشتت بـال، ويحـس في داخل نفسه -خاصة إذا انشغل بضـيوفه- بنـوع مـن الحسرـة، فهـو مـثلاً مشغول بمراجعة المطبخ بالتلفون ليعد له سحور ضيوفه بينما غيره معتكـف، يصلي في معتكفه، أو جالس يقرأ كتـاب ربـه، أو يسـتعد للـذهاب إلى صـلاة الفجر مبكراً، وهو بالإضافة إلى ذلك ينشغل معه البيت كله، وبدل أن يكون البيت في سلام واستعداد للذكر والعبادة، فإنـه يتحـول إلى مطـبخ طـوارئ، أما إذا تأخرت الوجبة في الوصول إلى البيت فهناك الترقب، والقلـق البـالغ، وحين تصـل متـأخرة، فـإن كـل شيء يـتم بأقصى سرعـة، ولا أحـد يشـعر بالراحة، نذكر هذا لنذكر إخوتنا الصائمين بترك المجاملات الاجتماعيـة عـلى حساب العبادة في رمضان، وإدراك تلك المجاملات ميسور بعد رمضان.

ولا ينبغي أن يفهم من هذا الكلام أنها دعوة للبخل، كلا، وألف كـلا، فما كان البخل إلا ذميماً، وما كان صاحبه إلا مذموماً، ولكنها الرغبة في الخـير للمسلمين وحثهم على العمل في العشر المباركة التي تمضي سريعاً، وكثير مـن الناس غافلون عنها.

إن البيت المسلم في هـذه العشر المباركـة في حاجـة إلى وضـع برنـامج للعبادة والذكر، وقراءة القرآن بما يشمل أفـراد البيـت كلـه صـغاراً وكبـاراً، رجالاً، ونساء، بحيث يتعمق الإحساس بقيمة وأهمية هذه العشر، ولقد كان المربي الأعظم والرسـول الأكـرم ﷺ **(يـوقظ أهلـه في العشر الأواخـر مـن رمضان)**[(١)]، وكان ﷺ **(يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها)**[(٢)].

قال سفيان الثـوري: أَحَـبُّ إليَّ إذا دخـل العشر الأواخـر أن يتهجـد الرجل بالليـل ويجتهـد فيهـا، ويُـنْهِضَ أهلـه وولـده إلى الصـلاة إن أطـاقوا ذلك[(٣)]، وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعلياً ليلاً فيقـول لهـما **(ألا تقومان فتصليان)**[(٤)]، وفي الموطأ[(٥)]: أن عمر بن الخطاب كان يصـلي مـن الليل ما شاء الله أن يصلي حتـى إذا كـان نصـف الليـل أيقـظ أهلـه للصـلاة يقول لهم: الصلاةَ الصلاة ويتلو هـذه الآيـة: ﴿ ﴾[(١)]، «كانت امرأة حبيب أبي محمد تقول لـه بالليـل: قـد ذهـب الليـل وبين أيدينا طريق طويل بعيد، وزادنا قليل، وقوافـل الصـالحين قـد سـارت

---

(١) سبق تخريجه صفحة (٤٠).
(٢) سبق تخريجه صفحة (٤٠).
(٣) لطائف المعارف (٣٠٨).
(٤) صحيح البخاري (١١٣٧) وصحيح مسلم (٧٧٥).
(٥) الموطأ (٢٥٨).
(١) سورة طه (١٣٢).

قدامنا ونحن قد بقينا:

يـــا نـــائماً بالليـــل كـــم ترقـــد ... قـــم يـــا حبيبـــي قـــد دنـــا الموعـــد
وخـــذ مـــن الليـــل وأوقاتـــه ... وِرْداً إذا مـــا هجـــع الرقـــد
مـــن نـــام حتـــى ينقضي ليلـــه ... لم يبلـــغ المنـــزل أو يجهـــد
قل لذوي الألبـاب أهـل التقـى ... قنطرة العرض لكـم موعـد»[(١)]

أخي المسلم الصائم: إن رمضان وعشره الأواخر منه يجب أن تترك آثارها فينا تعُّوداً على قيام الليل، وتحوُّلاً من حياة الرتابة والكسل والنوم طول الليل إلى حياة الحيوية والنشاط، والقيام ولو في جزء يسير من الليل، فما أجمل الحياة بصلاة الليل، وما أجمل البيت الذي يتعاون فيه الزوجان على هذه المهمة النبيلة الشريفة فيشجع أحدهما الآخر، ويدفعه برفق وحنان إليها، وقد ورد الترغيب على لسان الحبيب المصطفى ﷺ في إيقاظ أحد الزوجين صاحبه لصلاة من الليل، ونَضْحِ الماء في وجهه، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: **(إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين والذاكرات)**[(١)].

فيا من تشكو الضيقَ في صدرك، والقلقَ في نفسك وحياتك، ويامن تشكو رتابة الحياة وسآمتها جدد شباب حياتك، وخذ ما به ذهاب ضيق

---

(١) لطائف المعارف (٣٠٨).

(١) سنن أبي داود (١٣٠٩) وصحيح الجامع للألباني (٣٣٣) ويُنظر: صحيح ابن حبان (٣٠٧/٦).

صدرك، وقلق نفسك، ونكد حياتك، وذهاب الرتابة والسآمة من حياتك، خذ كتاب صلاة الليل بقوة عزيمة، وصدق إقبال، وافتح هذا الكتاب واقرأ صفحاته، وتجول بعقلك وقلبك وروحك في أرجائه، فستجد فيه شباب حياتك، وقوة نفسك، وانشراح صدرك، وذهاب همك وغمك، وستجد أن للحياة معنى وطعماً غير ما كنت تجد قبل ذلك، وتذكر أن في العشر الأواخر المباركة التي كان يعظم شأنها سلف الأمة فرصتك، فَرَوِّضْ نفسك على الطاعة والعبادة فيها، لتذوق شفاءها من أوجاعها، وأسقامها.

قال أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي: «وقال عمر بن ذر: لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فُرُشهم، ورجعوا إلى ملاذهم من النوم قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عادة السهر وطول التهجد فاستقبلوا الليل بأبدانهم، وباشروا الأرض بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل، وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربح وغبن. أصبح هؤلاء قد ملوا النوم والراحة وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجيء الليل للسعادة، شتان ما بين الفريقين، فأَعْمِلُوا أنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواه فإن المغبون من غُبن خير النهار والليل، والمحروم من حرم خيرهما إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا أنفسكم بذكر الله، فإنما تحيى القلوب بذكر الله، كم من قائم لله في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم

من نائم في هذا الليل قد نـدم عـلى طـول نومـه عنـدما يـرى مـن كرامـة الله للعابدين غداً. فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله»[١].

إن المرء ليأخذه العجب وهو يتأمل حكمة الصيام شهراً من كـل اثنـي عشر شهراً، وهو شهر تتدرج أيامه الثلاثون بين الرحمة، والمغفرة، والعتق من النيران، شهر تتصل أيامه بعضها ببعض اتصالاً لا انفصام معه كأنهـا حبـات مضيئة جميلة في عقد لؤلؤي بهـي يجـذب الأنظـار، ويخطـف الأبصـار، كلـما حاول الناظر إليها حار الطرف في إدراك أولها من آخرها، فرجـع كـالاً وهـو حسير. وتجيء أيامه العشر الأواخر عجيبة هي الأخرى في جلالهـا، وجمالهـا، وخيرها، وسرعة انقضائها، كأن الأيـام العشرـين قبلهـا تمهيـد لهـا وإعـداد، فالمسافر حين يسافر يختلف شعوره بين لحظة انطلاقه، وبين اللحظـات التـي تسبق وصوله إلى مكانه الذي أراده من سـفره، لا شـك أن اللحظـات التـي تسبق الوصول يصـبح الـزمن فيهـا سريعـاً وكـأن كـل شيء يـدور بسرـعة، والعشر الأواخر هي تلك اللحظات التي تسبق وصـول الصـائمين إلى نهايـة شهرهم، فكل شيء يتسـارع فيهـا، والمسـلم النابـه يـدرك ذلـك جيـداً، فـلا يتشاغل، أو ينشغل بشيء يحول بينه وبين إدراك الخير فيها، فهو حريص عـلى أخذ نصيبه فيها.

---

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (٤٥).

المبحث الواحد والعشرون: فضل ليلة القدر

ومن أعظم الخير في العشر الأواخر ليلة القدر، ليلـة الشرـف والرفعـة والعطاء والفضل، الليلة التي يفرق فيها كل أمـر حكـيم بـنص قولـه تعـالى: ﴿ `ƒíÉZã$Zä$RÎ) þ.•»6Þ 7#ø 'Îq»Yø¤R& $RÎ) ÇíÈ ÈÎ7ã‹É»GÅ6 ãÇíÈ Nm﴾ ﴿ ZJôˆ ÇÎÈ û,#Aã$Zä$RÎ) $R‰Yã ôÞ #•Þ& ÇÍÈ Ø‹Åm ã@ä•ÿñ$kŽÏ ÇÌÈ ä•ÿñ$kŽÏ﴾ ﴿ Ø‹Îeã$R‹Ü¡9$qè¼çRÎ) 7Îc `Þ Ø‹Åm ã@ä﴾ [١] ، قال ابن كثير: «وقولـه: أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمـر السنة، وما يكون فيها مـن الآجـال والأرزاق، ومـا يكـون فيهـا إلى آخرهـا. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف» [٢].

وقال العلامة السعدي في تفسيره: «أي: يفصل ويميزُ ويكتب كل أمـر قدري وشرعي حكم الله به، وهـذه الكتابـة والفرقـان الـذي يكـون في ليلـة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز، فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق، وآجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وَكَّل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وَكَّلهم بـه بعد خروجه إلى الدنيا، وَكَّلَ به كراماً كاتبين يكتبون ويحفظون عليـه أعمالـه،

---

(١) سورة الدخان (١ إلى ٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٦/٧).

ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا مـن تمـام علمـه، وكمال حكمته، وإتقان حفظه، واعتنائه تعالى بخلقه»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ÆÅŠÅm ¬@ @ä ä•ÿÞãŠ$ŽŽÏi﴾ قال: «يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من مـوت وحيـاة ورزق ومطر حتى الحجاج يكتبون يحج فلان، ويحج فلان»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قولـه: ﴿Ò=™ ÇÍÈ 9Ò ¬ä `Ï﴾[(٣)] قال: «في تلك الليلة تصفد مردة الشياطين، وتغل عفاريت الجن، وتفتح فيها أبواب السماء كلها، ويقبل الله فيها التوبة من كل تائب، فلذلك قـال: ﴿Ò=™ ÞÎ ÿ¼ãÉ>ÊÒB 4®m ‘ Ïd﴾[(٤)] وذلك من غروب الشمس إلى مطلع الفجر»[(٥)].

وعن قتادة وغيره: «﴿ 9ÒÏ- Ê¼ ôÏB ÞÒ{﴾: خير من ألـف شـهر لـيس فيها ليلة القدر»[(٦)]، وعن مجاهد: «صيامها وقيامهـا أفضـل مـن صـيام ألـف شهر وقيامه ليس فيها ليلة القدر»[(١)]. وقال مجاهد في قـول الله تعـالى: ﴿Ò=™

---

(١) تفسير السعدي (٤/٤٢٠).
(٢) تفسير القرطبي (١٦/١٢٧).
(٣) سورة القدر (٤-٥).
(٤) سورة القدر (٥).
(٥) لطائف المعارف (٢/٣٠٢).
(٦) تفسير ابن كثير (٨/٤٤٣).
(١) نفس المصدر.

﴿ ‘ ﴾: «هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى»[(١)]. وروي عن الإمام مالك: «أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: إن رسول الله ﷺ أُري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر»[(٢)].

وكلمة (القدْر) في لسان العرب تدور على معان منها[(٣)]: الشرف وعظم الشأن، ورفعة المكانة، ومنها: التعظيم، والتبجيل ورفع المكانة، ومنها: تقدير الشيء وتحديده، وضبط صفاته وأحواله، يقال: فلان له قدر أي له شرف وعلو شأن، ويقال: المسلمون يقدرون الرسول ﷺ قدره: أي يعرفون له سمو المكانة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ﴾[(٤)] أي ما عظموه وما قدسوه حق تقديسه، ويقال: قدَّر الله الآجال والأرزاق بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقيتها وسائر أحوالها.

ويظل معنى (ليلة القدر) أوسع وأكبر من كل تحديد لغوي وسواه، فهي ليلة الشرف والسمو وعظم الشأن، ورفعة المكانة، وهي ليلة البر، والخير، والعطاء، والفضل، والرحمة، والغفران، والتوبة، والعفو، والسلام

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٤).
(٢) موطأ مالك (٧٠١).
(٣) لسان العرب (٥/ ٧٤) وما بعدها.
(٤) سورة الزمر (٦٧).

والبركة، قال النبي ﷺ فيها: **(ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**[١]، وهي ليلة يقدر –يكتب- فيها كل شيء للسنة التالية. فهي ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم.

وفي قول الله تعالى: ﴿ä#ø $B 7‘Š‰ $Br ÇÈ íß)øÏ#ø ’Îû ÇÚöF{$#﴾ ﴿$kŽÏù ßr’9$# ãΝä3Í=÷GßϑÎ/ ÇÚöF{$# ÇÈ íß)øÏ#ø ’Îû ÇÚöF{$# ÇÈ íß)øÏ#ø ’Îû ÇÚöF{$# ÇÈ ÉΟó¡Ïm §‘ ÏΘöθtƒ ÇÍÈ﴾[٢] إعجاز دال على علم الله تعالى المحيط بكل شيء، فسبحان من أحاط بكل شيء علماً. فنزول القرآن لا يتكرر فعبر عنه بصيغة الماضي ﴿ÇÚöF{$#﴾ أما ليلة القدر فهي متكررة في كل رمضان يجيء، ويتكرر فيها نزول الملائكة والروح عليهم السلام ولذلك ناسب التعبير عن ذلك بصيغة الفعل المضارع ﴿ãΝä3Í=÷GßϑÎ/﴾ التي تفيد تكرر الفعل، والله سبحانه هو العليم بمراده من كلامه.

---

(١) صحيح البخاري (٢٠١٤) وصحيح مسلم (٧٦٠).

(٢) سورة القدر (١ إلى ٥).

المبحث الثاني والعشرون: توديع شهر الصيام

إن لكل ضيف حقاً في حسن استقباله، وفي حسن توديعه، والمسلم يجمل به وهو يودع هذا الشهر الكريم أن يحسن توديعه، وذلك يكون بأن يكثر المسلم من الحمد والشكر لله تعالى الذي وفقه إلى الصيام، والقيام، وأن يكثر من الاستغفار لأن كلمة الاستغفار (أستغفر الله) من أعظم أسباب المغفرة، والاستغفار دعاء بالمغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه، وعند فطره. قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فتختم به الصلاة والحج وقيام الليل، وتختم به المجالس، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها، وإن كانت لغواً كان كفارة لها، فكذلك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار. كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم شهر رمضان بالاستغفار والصدقة صدقة الفطر، فإن الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث. ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين: إن صدقة الفطر للصائم كسجدتي السهو للصلاة. وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه: قولوا كما قال أبوكم آدم: ﴿$Ÿ2ðmë?r $Z9 ëÿý? ÓŒbÎr $Z ¡ ÿR& $Y⊳ß $Z/' Ÿw$%﴾ وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿`ÏÅ» , ‰s`Ë ü‘qãZ9 'íëÿý? ×vÎr﴾[1] وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿`ÏÅ» , ‰s`Ë `à2 & ÓÍ_ðmë?r﴾[2]

---

(١) سورة الأعراف (٢٣).
(٢) سورة هود (٤٧).

﴿ÉúïÏ%©!$QÏ9ºx6Ï9ÓÉ«ÿÜz'í•ÿÝø6ïbr&ßJÔ&üÏ%©!$﴾[١] وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿'í‰ÿÝø6ïÓÅ¡ÿR$Ï%ÏM÷ß'ÏÏ%Ïé﴾[٢] وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: ﴿`ÏB&ÏMZà2'ÏÏ%š•Y»s9ÏM%R&ÏWÏ%m»9ÏÏWÏ%﴾[٣] «[٤].

والاستغفار في ختام رمضان يحمل معاني ودلالات تدل على الاعتذار عن الوفاء لله بما يجب له من الحمد والثناء والتعظيم والطاعة، حيث وفق الصائم إلى صيام رمضان، وقيامه، فما يجب لله تعالى من حق الطاعة، والشكر لا يقدر عليه مخلوق، ففي الاستغفار[٥] فرصة للتعبير عن الاعتذار في التقصير، ولعل ذلك تدل عليه آيات في كتاب الله تعالى، وجاء في السنة ما يشير إلى ذلك من فعل الرسول ﷺ حيث كان يستغفر الله ثلاثاً عقب تسليمه من الصلاة المفروضة[٦]. ويحسن الاستغفار عند حصول النعمة، وعند تمام العبادة، قال العلامة السعدي رحمه الله: «وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم

---

(١) سورة الشعراء (٨٢).
(٢) سورة القصص (١٦).
(٣) سورة الأنبياء (٨٧).
(٤) لطائف المعارف (٢/٣٥٣).
(٥) يُنظر في موضوع الاستغفار بتوسع كتابنا: (الاستغفار وثمراته في القرآن والسنة - نشر: دار طيبة الخضراء، مكة).
(٦) صحيح مسلم (٥٩١).

بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك»[١].

والصائم وقد أتم الله له الصيام ووفقه إلى هذا الإتمام حري به أن يكثر من الاستغفار في نهاية شهر الصيام، والاستغفار ينبغي أن يكون مقترناً بالعزم على التوبة، ومواصلتها بعد رمضان. قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة وهي حل عقدة الإصرار، فمن استغفر بلسانه وقلبُه على المعصية معقود، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ويعود فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود، قال كعب: من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه، فصيامه عليه مردود»[٢].

ومن المعلوم أن الناس يختلفون في توديع رمضان، فأهل الطاعة لله تعالى يودعونه بحزن وحرقة على فراقه لأنهم لا يعرفون هل يدركون رمضان في عام قابل، أم أنهم سيكونون تحت التراب، ولسان حالهم يقول: لا أوحش الله منك يا شهر البر والذكر والخير والعطاء. وأهل المعاصي، والذين في قلوبهم مرض وفي إيمانهم خلل يودعون رمضان وهم فرحون بذلك لأنهم يرون فيه قيداً ثقيلاً غلَّهم عن الشهوات الهابطة، وهؤلاء ليسوا من رمضان، ولا من أهله، فرمضان بفضائله، وقيمه، وآثاره العظيمة أكبر من هؤلاء

---

(١) تفسير السعدي (٥/٤٣٩).

(٢) لطائف المعارف (٢/٣٥٤-٣٥٥).

وأمثالهم، فرمضان في ميزان أهله، ومحبيه سنة، لا شهر، وذخيرة لا نفقة، ومصحة لا ملهى، ورياضة لا متاع، تروض فيه نفوسهم على الخير لتمرن عليه، وتعالج به من الشر لتبرأ منه، وليس الغرض من علاج النفس والجسم فيه أن ينقضي أثره الطيب بانقضائه فإن ذلك يخالف حكمة الشارع من الصوم ويناقض منطق الأشياء في الواقع.

وما أبعد المسلم عن الإسلام إذا اعتقد أن الصلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر إلا وهو في المسجد، وأن الصوم لا يعصمه من اللغو والأذى، والرفث إلا وهو في رمضان، وأن الصدقة لا تطهره ولا تزكيه إلا وهو في العيد.

إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، فمن أحسن فيه فعليه بالتمام، ومن فرط فليختمه بالحسنى والعبرة بالختام، وليستودعه عملاً صالحاً يشهد له به عند الله تعالى.

إن الله تعالى كثَّر أسباب المغفرة في رمضان لعباده الصائمين، ومن تلك الأسباب: صيامه، وقيامه، وقيام ليلة القدر، والذكر، والصدقة، وصلة الرحم، والإحسان إلى خلق الله، والاستغفار، والإكثار من الطاعات وأنواع القربات، ولما كثرت أسباب المغفرة وتنوعت، وفتحت أبوابها كان الذي تفوته المغفرة فيه محروماً غاية الحرمان، وهو حقيق بدعاء جبريل عليه السلام فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر، فقال: **(آمين آمين آمين. قيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: آمين آمين آمين؟ فقال: إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له**

فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين)[١] الحديث، وخرَّجه الإمـام أحمد والترمذي، وابن حبان أيضاً من وجه آخر عن أبي هريـرة رضي الله عنـه مرفوعاً بلفظ **(رغم أنفه)** وحسنه الترمذي.

إن من مظاهر الإحسـان في خـواتيم شـهر الصـيام، وتوديعـه بحسـن الختام إخراج زكاة الفطر حيث تأتلف القلوب، ويتعاطف الغني مع الفقـير، فرضت طهرة للصائم، وطعمة للمساكين، وما اشتكى فقير إلا بقدر ما قصَّر غني، ومقدارها صاع من طعام من غالب قوت البلد كـالأرز والـبر والتمـر عن كل مسلم.

إن المعنى العظـيم الـذي نسـتفيده مـن زكـاة الفطـر هـو ذلـك البعـد الواسع لمعاني الرحمة، والحب والتي يتسم به التشريع الإسلامي العظيم، فهي تعبير عن الإحساس بإخوة الدين، وإيصال النفع لهم، حتى تشـملهم فرحـة العيد، فيشاركوا مجتمعهم هذه الفرحة، فصدقة الفطر تشكل عنصر تواصـل بين القادرين والمعدمين في المجتمع المسلم في يوم العيد يوم التواصل.

إن الناس في ختام رمضان تتباين مشاعرهم، فمنهم المهـتم بـأمر قبـول ما تقدم في شهر الصيام من أعمال وقربات، وهـو يتمثـل مقالـة الإمـام عـلي رضي الله عنه: « كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً مـنكم بالعمـل، ألم تسـمعوا

---

(١) مسـند أحمـد (٢/ ٢٥٤) وجـامع الترمـذي (٣٥٤٥) ومسـتدرك الحـاكم (١/ ٥٤٩) وصحيح ابن حبان (٢/ ١٤٠).

الله عز وجل يقول: ﴿ûüÉ)FB9$`B ª! $$@7)Gf $JR̄﴾[1] »[2]، ومقالـة فضـالة بن عبيد: «لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة مـن خـردل أحـب إلي من الدنيا وما فيهـا لأن الله يقـول: ﴿ûüÉ)FB9$`B ª! $$@7)Gf $JR̄﴾»[3].

وهؤلاء يفزعـون إلى الله تعـالى بالـدعاء أن يتقبـل مـا قـدموا مـن الطاعـات ويتجاوز عن سيئاتهم ، ومـنهم الـذي لا يكـترث بـذلك، والمهـم أنـه صـام رمضان، وكفى، قال الحسن: «إن الله تعالى جعل شهر رمضان مضماراً لخلقـه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخـرون فخـابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيـه المحسـنون، ويخسرـ فيه المبطلون»[4]، و«روي عن علي رضي الله عنه أنه كان ينـادي في آخـر ليلـة من شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه، ومـن هـذا المحـروم فنعزيه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: مـن هـذا المقبـول منـا فنهنيه، ومن هذا المحروم منا فنعزيه، أيها المقبول هنيئاً لك، أيها المـردود جـبر الله مصيبتك»[5]. «يا شهر رمضان ترفَّقْ، دموع المحبين تدفَّقْ، قلوبهم مـن ألم الفراق تشققْ، عسى وقفة للوداع تطفئ من نـار الشـوق مـا أحـرقْ، عسـى

---

(١) سورة المائدة (٢٧).

(٢) لطائف المعارف (٢/ ٣٤٥).

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه (٢/ ٣٤٦).

ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام كلما تخرَّقْ، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحقْ، عسى أسير الأوزار يُطلقْ، عسى من استوجب النار يُعتقْ»[١].

(١) لطائف المعارف (٢/٣٥٧).

المبحث الثالث والعشرون: المسلم وفرحة العيد

وفي العيد السعيد يفرح المسلمون بنعمة التوفيق لإتمام الصيام، ليعبروا عن المعنى الذي يرتبط به عيد الفطر في حياتهم، فلا ينبغي أن يفصل معنى العيد في حياة المسلمين عن المهام التي أناطها بهم الإسلام، فهو جزء من مسيرة التكليف في هذا الدين العظيم، فما أشد حاجة المسلمين إلى أن يفهموا أعيادهم فهماً جديداً يستقبلون به هذه الأعياد حتى تجيء أياماً سعيدة عاملة تنبه في الأمة مكامن قوتها، وتجدد النفوس بمعاني هذه القوة، لا كما تجيء الآن في كثير من بلاد المسلمين كالحة عاطلة ممسوحة من المعنى، أكبر عملها تجديد الثياب وتجديد الفراغ.

إن الأمة مطالبة اليوم بأن تعيد لأعيادها فكرتها العابدة، وتترك ما هي عليه من فكرة عابثة عن العيد، فالأمة الإسلامية لا تعبد الأيام، ولكنها تعبد من خلق الأيام، فالأمة كانت في أيام رمضان صائمة في نهارها عما كان مباحاً لها في الأيام قبل رمضان، وهي في أيام العيد يباح لها ما كان ممنوعاً عنها في أيام رمضان. إنها العبودية لله تعالى. والعيد يرمز إلى أهمية الاستراحة بعد الجهد والعمل، فالمسلمون قد صاموا شهر رمضان، وقاموا لياليه، فجعل الله تعالى لهم يوم الجائزة وهو يوم عيد الفطر حيث يستلمون فيها جوائزهم، قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «إذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ما عليهم من العمل، وبقي ما لهم من الأجر وهو المغفرة، فإذا خرجوا يوم عيد الفطر إلى الصلاة قُسِّمَتْ عليهم أجورهم، فرجعوا إلى

منازلهم وقد استوفوا الأجر واستكملوه»[١].

فما أجمل الفرحة بعد الجهد والعمل في طاعة الله تعالى. والمسلمون في فرحتهم بعيد الفطر المبارك ينبغي عليهم أن يكونوا مرآة صادقة تعكس حركة المسلم في فرحه، وسروره، وهي حركة منضبطة غير منفلته، فيها الأدب، واحترام مشاعر الآخرين، والعيد مناسبة طيبة لوصل ما انقطع من حبال الوصال والمودة، مع الأرحام، والجيران، والأصدقاء، ولإدخال السرور والفرحة والبهجة على الأسرة، والأهل، خاصة من طريق الهدية. ولا ينبغي للمسلم أن تنسيه فرحته بالعيد إخوته المسلمين المرضى في بيوتهم أو في المستشفيات، فزيارتهم يثيب الله تعالى عليها بالأجر الجزيل.

وأيام العيد إنما هي استراحة المحارب المسلم، ليجدد بعدها نشاطه، ويمضي على طريق الاستجابة للتكاليف المناطة به والتي يتأهل بها لمهمة إعمار الحياة وفق منهج الإسلام العظيم، فصيام ستة من شوال على سبيل السنة تعدل صيام الدهر، وشوال هو أول أشهر الحج، فلا راحة لمؤمن دون لقاء الله، والحياة جميلة بالتكاليف والعمل.

فاللهم تقبل منا، ووفقنا فيما نستقبل من حياتنا إلى عمل ما ترضاه، واهدنا إلى صراطك المستقيم.

---

(١) لطائف المعارف (٢/٣٤٣).

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط أولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- **الأركان الأربعة**، لأبي الحسن الندوي، دار العلم، ط أولى، دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- **تفسير الشوكاني**، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط أولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **تفسير ابن كثير**. تحقيق سامي السلامة، نشر دار طيبة، ط أولى، الإصدار الثاني، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- **تفسير الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط أولى، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **تفسير السعدي**، دار الفكر، بيروت، نشر مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- **تفسير ابن عثيمين**، دار ابن الجوزي، ط أولى، صفر ١٤٢٣هـ.
- **تفسير المنار**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ثانية.

- **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط أولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **جامع الترمذي**، تحقيق عادل مرشد، ط أولى، نشر دار الأعلام، الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- **حجة الله البالغة**، للدهلوي، دار الكتب العلمية، ط أولى، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- **زاد المعاد**، لابن القيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط ثانية، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق د/ عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، ط أولى، بيروت، ١٤١١هـ.
- **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.
- **السنن الكبرى**، للبيهقي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- **السلسلة الصحيحة**، للألباني، مكتبة دار المعارف، الرياض.
- **صحيح الجامع الصغير**، للألباني، المكتب الإسلامي، ط أولى، بيروت، ١٩٨٨م.
- **الصوم معجزة علمية**، د/ عبدالجواد الصاوي، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

- **صحيح البخاري**، ترتيب بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- **صحيح مسلم**، ترتيب بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط أولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- **صحيح ابن حبان**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، بيروت ١٤١٤هـ.
- **في ظلال القرآن**، لسيد قطب، دار الشروق، ط أولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. ط العاشرة، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- **لطائف المعارف في المواسم العام من الوظائف**، لابن رجب الحنبلي، مكتبة نزار الباز، ط أولى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- **الموطأ**، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- **مسند أبي داود الطيالسي**، دار ابن حزم، ط أولى، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨٥.
- **مدارج السالكين**، لابن قيم، تحقيق د/ إياد القيسي، نشر مكتبة الرشد، ط أولى، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **مصنف عبدالرزاق الصنعاني**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط أولى، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط أولى، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- **مجمع الزوائد**، للهيثمي، دار الريان، القاهرة/ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- **المعجم الكبير**، للطبراني، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، ط ثانية، الموصل، ١٤٠٤هـ.
- **المستدرك**، للحاكم، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط أولى، بيروت، ١٤١١هـ.
- **مسند أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ.
- **مسند أحمد بن حنبل**، تحقيق وتخريج مجموعة من الباحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــوع الصفحة

المقدمـــــــــــــة ---------- ١
المبحث الأول: فرحة المسلمين برمضان ---------- ٣
المبحث الثاني: من سمات اليسر والرحمة في تشريع الصيام ---------- ٥
المبحث الثالث: رمضان شهر القرآن ---------- ٨
المبحث الرابع: الصيام موسم كبير للتهذيب والسمو ---------- ١٠
المبحث الخامس: التدرج في تشريع الصيام ---------- ١٢
المبحث السادس: الصيام أدب وعفاف ---------- ١٣
المبحث السابع: سلوكيات بعض الصائمين ---------- ١٥
المبحث الثامن: أصناف الصائمين ---------- ١٧
المبحث التاسع: في الصيام تشبه بالملائكة ---------- ١٨
المبحث العاشر: الصيام رحمة وتراحم ---------- ٢٠
المبحث الحادي عشر: مكانة الصيام ---------- ٢٣
المبحث الثاني عشر: من أحكام الصيام ---------- ٢٧
المبحث الرابع عشر: خصائص الصيام ---------- ٤٨
المبحث الخامس عشر: آداب الصيام ---------- ٦٧
المبحث السادس عشر: فضائل الصيام ---------- ٧٨
المبحث السابع عشر: فوائد الصيام ---------- ٩٠

الموضـــــــــــــــــوع الصفحة

المبحث الثامن عشر: من مقاصد الصيام ---------- ١٠٣
المبحث التاسع عشر: الصيام من عوامل التجدد والانبعاث للأمة -------- ١٠٦
المبحث العشرون: فضائل العشر الأواخر ---------- ١١١
المبحث الواحد والعشرون: فضل ليلة القدر ---------- ١٢٠
المبحث الثاني والعشرون: توديع شهر الصيام ---------- ١٢٤
المبحث الثالث والعشرون: المسلم وفرحة العيد ---------- ١٣١
فهرس المصادر والمراجع ---------- ١٣٣
فهرس الموضوعات ---------- ١٣٧